الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

السياق التداولي في كتاب بخلاء الجاحظ

مذكرة تخرّج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : علوم اللّسان

إعداد الطالبتين :

✍ اليامنة قرح

✍ سهام عاشور

إشراف الدكتورة :

📖 دلال وشن

لجنة المناقشة

د. بشير مناعي	رئيسا
د. دلال وشن	مشرفا ومقررا
د. مسعودة ساكر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 1438هـ-1439هـ/2017م-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ

وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

سورة التوبة ، الآية 105

شكر و تقدير :

قالى الله تعالى : « **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** » صدق الله العظيم .

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بالحمد والشكر لله تعالى على ما وهبنا إليه من العزم والمقدرة على كتابة هذا العمل .

ونخص بالشكر والثناء لأستاذتنا الدكتورة " **دلال وشن** " المشرفة على هذه الرسالة على كل ما بذلته من وقت وجهد في توجيهنا وإرشادنا فجزاها الله عنا خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتها .

دون أن ننسى أستاذنا " **سليم حمدان** " الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجهاته ، ونتقدم له بعميق الإمتنان وفائق التقدير والإحترام تمنين له دوام الصحة والعافية والمزيد من النجاحات .

وكذلك نتقدم بالشكر الجزيل لكل من مدّ لنا يد العون وخاصة " **أسامة ذهب** " الذي صبر على كتابة وطبع هذه المذكرة وإخراجها بكل إتقان .

وأخيرا نشكر سلفا أعضاء لجنة المناقشة كل بإسمه على ما سيبذلون من وقت وجهد في قراءة هذه الرسالة وتقويمها وأسأل الله التوفيق .

اليامنة / سهام

الملخص

تعد اللسانيات التداولية linguistique pragmatique من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت و ازدهرت علي ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، فبعدما كانت اللسانيات تقتصر أبحاثها علي الجانب البنيوي والتوليدي للغة جاءت اللسانيات التداولية لتعالج الجانب الاستعمالي والتواصلي لها الذي يتحكم فيه عنصر السياق ، حيث يعتبر هذا الأخير أحد مرتكزاتها، فالسياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي قد اهتم به العرب والغرب قديما وحديثا. أما السياق التداولي فهو يقوم أساسا على تأويل النص كفعل كلامي، أو كسلسلة أفعال كلامية، فالوعود والتهديدات والتأكيدات والأسئلة والأوامر ... هي أمثلة على الأفعال الكلامية، كما يتكون السياق التداولي من كل العوامل النفسية والاجتماعية والتي تحدد بدقة مناسبة أفعال اللسان كالمعرفة أو الرغبات أو الإرادة ... – إن كتاب البخلاء للجاحظ كمدونة التراثية الذي إعتمدنا عليها كان ملائما للدراسة ، فقد إستطاع الجاحظ من خلالها إيصال مقاصده المختلفة للمتلقي بإقناعه والتأثير فيه، بإعتماد على الأسلوب القصصي بطريقة فكاهية ساخرة .كما أنا عناصر السياق التداولي في الكتاب قد تنوعت بتنوع محتواه ؛وكذلك تنوعت بتنوع الفنون النثرية التي وظفها الجاحظ في نصوصه فقد تلونت بين العام والخاص في جميع عناصره السياقية من المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، وشكلها، والزمان والمكان – كما إعتمد الجاحظ على التنويع في إستحضار إستراتيجيات الخطاب المختلفة كالإستراتيجية التلميحية ، والتظامنية ، التوجيهية والحجاجية .

الكلمات المفتاحية: السياق ، السياق التداولي ، الإستراتيجيات التخاطبية ،

Abstract

Linguistique pragmatique is one of the latest linguistic trends that have emerged and prospered in the modern and contemporary linguistic classroom. After linguistics limited its research to the structural and the syntactic aspects of the language, the linguistic linguistics came to deal with the contextual and communicative aspect which is controlled by the contextual component. , The context of linguistic and non-linguistic qualities has been interested in the Arabs and the West in the past and recent. The deliberative context is mainly based on the interpretation of the text as a verbal act, or as a series of verbal acts. The promises, threats, assertions, questions and commands ... are examples of verbs. The deliberative context consists of all psychosocial factors that accurately determine the appropriate verbs of the tongue, The will ... - The Book of Bakhla Al-Jahz as the heritage code, which we relied upon was suitable for study, Al-Jahez was able to convey the various purposes of the recipient by persuading and influencing him, relying on the narrative style comic comic manner. I also elements of the deliberative context in the Kata It has varied in its variety of content; it has also diversified in the variety of petty arts employed by Al-Jahiz in its texts. It has been confused between the public and the private in all its contextual elements from the sender, the addressee, the message and its form, time and place. Al-Jahiz also relied on diversification to invoke various discourse strategies , Regulatory, steering and pilgrimages.

key words : Context , The deliberative context , Tactical strategie .

مقدمة

أصبحت التداولية في السنوات الأخيرة موضوعا مألوفا في اللسانيات حيث يقول " **جفري ليج** " بهذا الصدد : (**لانستطيع حقيقة فهم طبيعة اللغة ذاتها إلا إذا فهمتا التداولية : كيف نستعمل اللغة في عملية التواصل**).

فالتداولية تتصل بعديد الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة في الدراسات اللسانية بصفة عامة . وقد ظهرت ردّا على ما كان من قصور المناهج والنظريات اللسانية السابقة كالبنوية والتوليدية التحويلية وغيرها من المناهج اللغوية التي ركزت في دراستها على الجانب الشكلي للغة وعزلها عن سياقها وإهمالها للظروف النفسية والإجتماعية للمتكلم والمخاطب . فنجد أن المنهج التداولي من بين المناهج التي إهتمت بالخطاب وهذا لكونه متعلقا بإستراتيجيات المختلفة التي هي ركيزة أساسية في إيصال الأفكار وتحقيق المقاصد بين المتكلم والمتلقي ، ونجده يتضمن كل وسائل الإقناع والتحاور ، وقد تمكنت الدراسات التداولية من إخراج الخطاب من عزلته التي وضعته فيها المناهج البنوية ، وجعلته نتاج تفاعل مستمر مع عوامل السياق ، وذلك بفحص العلاقة بين المتكلم والمخاطب في مقام إستعمالي بعينه ، ويعد السياق أحد المفاهيم الإجرائية المعوّل عليها في الدرس التداولي ، والذي لم ينظر إليه كمعنى خطابي فحسب بل كتصور ببنية المتكلم (منتج الخطاب) سعيا منه إلى تسخير كل الخيرات والمعارف المختلفة بغية الوصول إلى المقاصد وذلك لإحتوائه ما يكفي مادة حسية لتجسيد عملية التواصل بين طرفي المعادلة التواصلية (المتكلم والمتلقي) والعلاقة التي تربط بينهما في سياق تواصلي محدد . ولعل هذا هو الدافع وراء معظم الدراسات اللغوية المهتمة بهذه النظرية ، لذلك إرتأينا أن تكون ثمرة جهدنا حول إحدى كتب التراث التي تحتوي على حورات مختلفة ألا وهو كتاب البخلاء لمؤلفه الجاحظ ، ويحوي هذا الكتاب على مجموعة من القصص لا يمكن لأي باحث أن يقوم بدراسته دون الرجوع إلى الأوضاع التي تمخضت عنه ، والحوار الذي جرى في كل القصص التي قام بسردها ، كما لا يمكننا تحليلها إلا بالعودة إلى السياقات التي أتت فيها

وهذا ما جعلنا نختار من خلال هذه الدراسة البحثية التي عنونّها ب :

السياق التداولي في بخلاء الجاحظ .

تبعا لتنوع المرسل والمرسل إليه وكل نمط يعمل على إبراز جانب تأثيري خاص للحوار والكشف عن السياق ، ولعل من أهم دواعي الإختيار لهذا الموضوع نذكر :

- أنه لفت إنتباهنا وجود حوارات وقصص متنوعة في كتاب البخلاء .

- ميلنا للدراسة التداولية و تطبيق آلياتها التداولية على النص التراثي .

- كذلك رغبة منا في التنقيب في تراثنا الأدبي العربي الثري جدا بمبادئه الخام فإخترنا هذه المدونة التي تزخر بعديد الظواهر اللغوية والجماليات الفنية .

ويعد السياق أحد مرتكزات التي تقوم عليها التداولية ، مع أنها لم تكن موضوعا جديدا فقد تناولها القدماء والمحدثون ، إلا أن أهمية هذه الدراسة تأتي من كونها تناولت كتاب البخلاء فالحوار عادة لا يكون عبثا بل له دلالات مهمة فهو يشير إلى فهم الآليات التي تتحكم فعلا في تحقيق القصدية أثناء الخطاب .

وبناء على ما سبق نطرح الإشكال الرئيسي التالي :

- ماهي العناصر التي بنى عليها الجاحظ خطابه لتبليغ مقاصده في كتاب البخلاء ؟

وهذا الإشكال الرئيسي يحمل في طياته العديد من الأسئلة الفرعية نجملها فيما يلي :

- ما مفهوم السياق وما هي أنواعه وعناصره ؟

- ما طبيعة العلاقة التي تحكم المرسل والمرسل إليه ؟

وقد إعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي وذلك لإستقراء السمات في كتاب البخلاء من خلال عناصر السياق التداولي مع تحديد إستراتيجياته في تبليغ مقاصده.

وقد إقتضت خطة الدراسة مدخلا وفصلين ، الفصل الأول نظري والثاني كان تطبيقي تتلوهم خاتمة ، وكان المدخل خاصا بالمفاهيم والإجراءات التداولية ، حيث إحتوى كل فصل على مبحثين كما تضمن كل مبحث ثلاث مطالب ، فالفصل الأول سلطنا فيه الضوء على السياق وعلاقته بالتداولية مفاهيم ومصطلحات ، حيث قسمناه إلى ثلاثه مطالب ، الأول : تحدثنا فيه عن تعريف السياق لغة وإصطلاحا ، والثاني : عن أنواع السياق والثالث السياق عند العرب والغرب ؛ والمبحث الثاني : تناولنا فيه السياق التداولي وقسمنا إلى ثلاث مطالب ، فالمطلب الأول : عرفنا فيه السياق التداولي ، أما المطلب الثاني : فقد ركزنا فيه على أقطاب العملية التواصلية ؛ والثالث : وضحنا فيه الإستراتيجيات التخاطبية

فأما الفصل الثاني : فكان تطبيقيا لما نظّرنا له في المبحثين السابقين حيث درسنا فيه تقديم المدونة وتجليات السياق التداولي في المدونة (كتاب البخلاء) .

وقد إستندنا في بحثنا هذا على عدة مصادر ومراجع نذكر أبرزها :

- عبد الهادي بن ظافر الشهري (إستراتيجيات الخطاب)

- محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث المعاصر .

ويبقي لنا أن نشير إلى أمر : أننا إعتمدنا الطبيعة الأخيرة في الجانب التطبيقي التي قدمهّا وشرحها : عباس عبد الساتر ، بيروت ، 2004 .

ومن العثرات التي واجهتنا في سير عملنا البحثي والتي لا تكاد تخلو منه دراسة ، ولا يستشعر الباحث ثمرة عمله ، إلا بها نذكر ، التالي :

- شساعة الموضوع وصعوبه حصره .

- تراكم الآراء وإختلاف المواقف حوله هذه المسائل (التداولية – السياق)

وكذلك يسوقنا لأن نبين تراثنا العربي مع الإشارة إلى توفير هذه المدونة على عناصر السياق التداولي .

وختاما نتوجه بعمق آيات الشكر والإمتنان إلى أستاذتنا " دلال وشن " التي أشرفت على هذه المذكرة مشكورة ، وقد كانت توجيهاتها وملاحظاتها القيمة لها الأثر الواضح في إنجاز هذا البحث . كما نقوم بتوجيه شكرنا الخالص إلى اللجنة التي قامت بقراءة عملنا هذا .

وفي الأخير نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع هذا البحث قارئيه ، وأن يجعله منطلقا لدراسات أكثر توسعا وعمقا راجين من سبحانه أن يجازينا بالحسنات إحسانا وبالسيئات عفوا وغفرانا .... إنه ولي ذلك والقادر عليه .

مدخل

أولا : مفهوم اللسانيات التداولية وتطورها :

تعد اللسانيات التداولية linguistique pragmatique من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت و ازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، فبعدما كانت اللسانيات تقتصر أبحاثها على الجانب البنيوي والتوليدي للغة جاءت اللسانيات التداولية لتعالج الجانب الاستعمالي والتواصلي لها.

إن تقديم تعريف للتداولية يلم بجميع جوانبها ويشملها أمر في غاية الصعوبة ذلك لأنها مبحث لساني ونظري لم يكتمل بنائه بعد ، ومن جهة أخرى نجدها تتداخل مع العديد من العلوم المعرفية مما جعل كل باحث ينطلق في تعريفه من مجال تخصصه.

1 – مفهوم التداولية :

أ – المعنى المعجمي:

التداول في اللغة العربية مصدر للجذر اللغوي (د و ل) فقد وردت في أساس البلاغة للزمخشري (ت 573) ،(دول) : دالت له الدولة ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم : جعل الكرة لهم عليه، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، والدهر دول وعقب ونوب، وتداولوا الشيء بينهم والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما، وتقول دواليك اي دالت الدولة كرّة بعد كرّة [1] .

وقد وردت أيضا في لسان العرب لابن منظور (ت 711) (دول): الدولة والدولة : العقبة في المال والحرب سواء، وقيل الدُّولة بالضم في المال ، بالفتح في الحرب ، الزجاجُ الدُّولة اسم الشيء الذي

[1] – الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر بن أحمد ، أساس البلاغة ، تح : محمد باسل عيون التشود ، ط1 ، لبنان ، دار الكتب العلمية (د. ت) ، ج1 ، ص 326 .

يتداول ، والدولة الذي يتداول ، والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال ، وتداولتا الأمر : أخذناه بالدول وقالوا: دواليْك أي مداولة على الأمر... ودالت أي دارت ، والله يداولها بين الناس [1]

فمن خلال المعنى المعجمي لمفهوم التداولية نلاحظ أن دلالة اللفظة (د.و.ل): لا تخرج عن مفهوم التحول والتبدل فمعناها يدور في فلك الانتقال والتغير من حال إلى حال .

كما قد وردت كلمة تداول في القرآن الكريم بمعني نفسه الذي ورد في المعاجم العربية، وذلك في قوله تعالى: « **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**» [سورة آل عمران الآية 140] .

ب : المعنى الاصطلاحي :

تعود كلمة البرجماتية pragmatique إلى الأصل اليوناني " براغما " Bragma ومعناها الفعل أو العمل "action" [2]

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح البرجماتية استعمل و وظف في مجال القانوني قبل المجال الفلسفي أو الأدبي أو اللغوي، وهذا ما يوضحه نواري ابو زيد : فقبل ان تدخل إلى مجال الدراسات الفلسفية والأدبية فإنها استعملت في مجال القانوني وتحديدا في عبارة (pragmatique sanction) وتعني المرسوم أو المنشور، أو نحوه ويهدف إلى تسوية قضية هامة . [3]

والتداولية ترجمة بمصطلحين اثنين هما :

1* pragmatique : باللغة الفرنسية ، الذي يدل على المعنى المحسوس والملائم للواقع .

2* pragmatic : باللغة الإنجليزية وهي اللغة التي كتبت بها معظم الدراسات المؤسسة التداولية ولها معني لا يختلف عن المعنى السابق، وهو ماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية .

---

[1] – ابن منظور، ابن الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط3، لبنان، دار صادر، 1994، ج 11، ص 252 .

[2] – محمد جديدي، فلسفة الخبرة (جون ديوي نموذجا) ، (د،ط) ، تونس، المؤسسة الجامعية للدراسات، (د.ت) ، ص 16 .

[3] – نواري سعود أبو زيد، تداوليات الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، ط1 ، الجزائر، بيت الحكمة، 2009 ، ص 18 .

يعود مصطلح التداولية (pragmatics) بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي **تشارلز موريس** (charles morris) الذي إستخدمه سنة 1938 دالا على فرع من الفروع ثلاثة التي يشتمل عليها علم العلامات أو السيميائية (semiotics) وهذه الفروع هي :

1 – علم التراكيب (syntactics أو syntax):

وهو يعني بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات مع بعضها .

2 – علم الدلالة : semantics :

وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها .

3 – علم التداولية :

وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها . [1]

فالتداولية إذن تختص بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب) ويفسره المستمع (أو القارئ) لذلك فهي مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة .[2]

فقد اختار (**طه عبد الرحمن**) مصطلح " التداوليات " مقابلا ل : (pragmatique) وبعدَه أول من أدخلها إلى الثقافة العربية ويقول في ذلك : « وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات "مقابلا" للمصطلح الغربي (براغماتيقا) ، لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيين " الاستعمال " و " التفاعل " معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا لدى الدارسين الذين أخذوا

[1] – محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث المعاصر ، (د.ط) ، مصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2002 ، ص 9 .

[2] – جورج يول ، التداولية ، (د.ط) ، تر : قصي العتابي ، ، لبنان ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،2010 ، ص 19 .

يدرجونه في بحوثهم [1]، ثم يحدد المعنى الاصطلاحي للتداول، قائلا:«هو وصف لكل ما كان مظهر من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم».[2]

– فالتداولية إذن في أبسط تعريفاتها: هي دراسة اللغة أثناء استعمالها و استخدامها في سياق التخاطب، وتقوم على مراعاة كل ما يحيط بعملية التخاطب أي المحيط الخارجي للخطاب المتمثل في دراسة ظرفي الزمان والمكان والمقام، فهي تختص بتقصي كيفية تفاعل البني والمكونات اللغوية مع عوامل السياق لغرض تفسير اللفظ ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحيانا بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الذي قصده المتكلم .

ثانيا : التفكير التداولي عند العرب :

تعتبر اللسانيات التداولية من المواضع المتأصلة في ثقافتنا التراثية العربية، وذلك انطلاقا من أسبقية المنظّرين العرب إلى إدراك أغراض الخطاب، و الوظيفة التداولية للغة في الحياة العامة [3]، حيث تميزت الدراسات اللغوية في التراث العربي بالاهتمام ببعض الجوانب التي تعد من أهم المبادئ و القضايا التي تأسست عليها اللسانيات التداولية اليوم، إذ اهتموا بمعيار الصدق والكذب في الأساليب وفي الشعر ومراعاة المقام ومطابقته لمقتضى الحال وحصر مجالها في كل ما يرتبط بالتواصل اللغوي من الاهتمام بالسامع واعتبار المتكلم ، وبيان دوره في صياغة الخطاب وإنتاجه، والإلمام بالعناصر الفاعلة في الإبلاغ [4] ؛ وتبدو هذه المبادئ والسمات التداولية واضحة المعالم في أعمال بعض الباحثين القدماء نحو: **"البيان والتبيين" للجاحظ** (ت 255 هـ)، **الخصائص لإبن جني** (ت392هـ) **ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني** (ت 471 هـ)، **ومفتاح العلوم للسكاكي** (626 هـ) .

---

[1] – طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ط2 ، المغرب ، المركز الثقافي العربي ، 2000 ، ص 27 .

[2] – طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، (د. ط) ، المغرب ، المركز الثقافي العربي ، 1993 ، ص 244 .

[3] – نعمان بوقرة ، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل ، ط1 ، الأردن ، عالم الكتب الحديثة ، 2012 ، ص 67 .

[4] – خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصليه في الدرس العربي القديم ، ط1 ، الجزائر، بيت الحكمة للنشر و التوزيع ، 2000 ص 140 .

وعن أسبقية العرب لمعرفة أصول هذا الاتجاه، يقول (**سويرتي**) : "إن النحاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما، رؤية واتجاها أمريكيا وأوربيا ، فقد وظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة [1]

ومن أهم مصادر التفكير التداولي اللغوي عند العرب نجد علم البلاغة، وعلم النحو والنقد والخطابة إضافة إلى ما قدمه علماء الأصول الذين يمثلون – إلى جانب البلاغيين – اتجاها فريدا في التراث العربي، يربط بين الخصائص الصورية للموضوع وخصائصه التداولية [2] ...وغيرها من المجالات الأخرى التي تتعدى مجال التداولية المحدد في الجانب اللساني فقط، كما أن الدراسات اللغوية العربية كانت تقوم في الأصل على النظر في الخطاب مهتمة في الوقت نفسه بدور المشاركين في الحديث

(المتكلم والسامع) ودورهما في عملية الفهم والإفهام، وهذا ما يقابل البيان عند **الجاحظ** الذي هو: « اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون ضمير حتي يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذاك هو البيان في ذلك الموضع » [3]

ومن القضايا التي اهتم بها علماء الأصول، دراسة العلاقة بين اللفظ وما يحيل عليه، حيث نظروا إلى العبارات اللغوية مثلا: من حيث إفراد المحال عليه وتعدده، وميزوا بين عبارات عامة تحيل على معان متعددة، نحو : (انسان كل...) ، وعبارات خاصة تحيل على معني مفرد ، نحو: (رجل، قلم ...) كما اهتم النحاة القدماء بعناصر العملية التواصلية، ونظروا بعين الاعتبار إلى أهمية مقاصد المتكلم ودوره في التواصل، وربما نجد هذا واضحا في قول **السيوطي** (ت 911 هـ) : إن صناعة النحو قد تكون

[1] – المرجع السابق، ص 140.

[2] – ينظر: أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، ط1، المغرب، منشورات عكاظ ، 1989، ص 35 .

[3] – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين، (د. ط) ، تح: عبد السلام هارون، مصر، مطبعة الخانجي، 1975، ج1، ص 76.

فيها الألفاظ مطابقة للمعاني، وقد تكون مخالفة لها إذا فهم السامع المراد، فيقع الاسناد في اللفظ إلى شيء وهو في المعنى شيء آخر إذا فهم المخاطب غرض المتكلم من خطابه [1]

أما في الفكر اللساني الحديث والمعاصر فقد ارتبط هدا المفهوم بثلة من الأعمال العلمية تصدرها دراسات الفيلسوف المغربي "**طه عبد الرحمن** " في مؤلفه "**تجديد المنهج في تقويم التراث** " وكذا **أصول الحوار تجديد علم الكلام** . بالإضافة إلى أعمال **المتوكل** في كتابه "**الوظائف التداولية في اللغة العربية** " و "**اللسانيات الوظيفية** ": مدخل نظري، و"دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية . وكذلك نجد **مسعود صحراوي** في كتابه "، **التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام)** .

فطه **عبد الرحمن** تتجلى ملامح البحث التداولي عنده، من خلال اهتمامه بالكلام والعملية التواصلية ككل، إذ يقول في هذا الصدد :« ولما كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها التواصلية نسميها بقواعد التبليغ » [2]

أما **مسعود صحراوي** في مقولته التي دعا فيها إلى قراءة التراث العربي على ضوء المفاهيم التداولية حيث قال :« إن التداولية بمقولاتها ومفاهيمها الأساسية كسياق الحال، وغرض المتكلم، وإفادة السامع ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب ومفهوم الأفعال الكلامية يمكن أن يكون أداة من أدوات قراءة التراث العربي في شتى مناحيه ومفتاحا من مفاتيح فهمه» . [3]

وخلاصة ما تقدم أن الدرس العربي القديم أهم ما يميزه أنه يقوم على دراسة اللغة أثناء الاستعمال منذ بدايته وهذا ما نجده في تراثنا العربي في مختلف علومه من نحو، وبلاغة، وفقه وأصول، وتفسير

---

[1] – السيوطي: جلال الدين، الأشباه والنظائر، ط1، بيروت – لبنان – ، دار الكتب العلمية، 1990، ج1، ص 173 .

[2] – طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1 ، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1998، ص 237 .

[3] – مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) ، ط1 بيروت – لبنان –، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005، ص 226 .

وقراءات ، بعدّها وحدة متكاملة في دراسة اللغة، ويمكن أن نميز من اتجاهاتها ما يهتم بوجه استعمال اللغة، وما يتصل بها من قرائن غير لفظية نحو: منزلة المتكلم وعلاقته بالسامع، وحالة كل منهما النفسية الاجتماعية والأدائية (حركة ، صمت ، ظروف التواصل ، الزمانية والمكانية ... وغيرها) مما يقدم دراسة تداولية شاملة عرفتها الدراسات العربية القديمة، وهي جديرة ببحوث مستقلة تعرض الاهتمامات التداولية في مختلف علومها .

ثالثا : التفكير التداولي عند الغرب :

ينظر إلى التداولية على أنها مبحث لساني جديد، لكن البحث فيها يمكن أن يؤرخ له منذ القدم، إذا كانت تستعمل كلمة pragmaticus اللاتينية، وكلمة pragmaticas، الإغريقية بمعنى

(عملي) ، وإذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى (للتداولية) فيمكن تلمسها في الاتجاه التحليلي في الفلسفة (الفلسفة التحليلية)، وهو الاتجاه الرئيسي في فلسفة اللغة أو التيار الغالب في الفلسفة المعاصرة الذي ركز على موضوع اللغة، وحاول تغيير مهمة الفلسفة وموضوعها وممارستها . [1]

ففي العقد الثاني من القرن العشرين في فينا بنمسا نشأت " الفلسفة التحليلية " .بمفهومها العلمي الصارم على يد الفيلسوف الألماني **غوتلوب فريجة** Gottlob frege في كتابه أسس علم الحساب، وكانت دروسه في الجامعة الألمانية موردا لطلاب الفلسفة و المنطق من مختلف البلدان الأوربية لا سيما ألمانيا والنمسا على الرغم من قلة انتاجه المكتوب[2]

وقد تأثر التجديد الفلسفي الذي جاء به (فريجة) عدد من الفلاسفة منهم (هوسرل) و (كارناب) و(فيتجنشتاين) و (سيرل) وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة ومشتركة، مفادها: أن فهم الإنسان لنفسه، وعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر له عن هذا الفهم، وتلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التحليلية و اتجاهاتها، ويمكن إجمال سمات الاتجاه التحليلي فيا يلي:

[1] – بشري البستاني ، التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ط1 ، لندن ، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، 2012 ، ص 34.
[2] – مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 18 .

1 – ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم ولا سيما جانبه الميتافيزيقي .

2 – تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع (نظرية المعرفة) إلى (التحليل اللغوي) .

3 – تجديد بعض المباحث اللغوية وتعميقها، لا سيما مبحث الدلالة والظواهر اللغوية المتفرعة عنه.

ويتكون الاتجاه التحليلي من تيارات فرعية أهمها :تيار اللغة الاعتيادية عند(مور ورسل و فتجنشتاين) وتيار اللغة الاصطناعية: الذي يدرس اللغة الشكلية أو الصورية وهو الاتجاه الذي تمثله الوضعية المنطقية بزعامة (كارناب و أير) وتقوم على التحليل المنطقي للجمل والقضايا اللغوية؛وتيار أفعال اللغة بزعامة (سيرل وأوستين) ضمن مدرسة أكسفور .

لم يكن المنهج الوظيفي التداولي محط اشتغال هذه التيارات كلها فقد اهتم منهج الوضعية المنطقية باللغات الصورية المصطنع ، ونهض منهج (دافيوس) بشروط الصدق، وبذلك خرجت من الاهتمام التداولي فلم يبقي ضمن الاهتمامات التداولية إلى تيار فلسفة اللغة العادية [1]

ولم تصبح التداولية مجالا يعتد به في الدرس اللساني إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن طورها فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة اوكسفورد، جون (أوستين J – austine) ، لجون سيرل (J – searl) ، (بول غرايس poulgrise)، وهم من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية في المقابل مدرسة اللغة الشكلية (الصورية) وكانوا يهدفون إلى ايجاد طريقة لتوصيل معنى اللغة الانسانية من خلال إبلا غ مرسل رسالة إلى المستقبل ليفسرها ، فكان عملهم من صميم البحث التداولي [2]

وكانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام التي ظهرت مع (جون أوستين) وتطورت على يد (جون سيرل) وبعض فلاسفة اللغة من بعد لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنظريات التي تشكل مجتمعه ما يعرف باللسانيات التداولية (أفعال الكلام) و الإستلزام التخاطبي والإشاريات، والحجاج، والقصدية ...) والحق أن "جون أوستين" حينما ألقي محاضرات ويليام

[1] – بشري البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص (34 ، 35)

[2] – باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم السكاكي(ت 626) ، ط1، الأردن، عالم الكتاب الحديث، 2014، ص 30 .

جيمس عام 1955 لم يكن يهدف إلى وضع اختصاص جديد للسانيات أو فرع جديد لها، وإنما كان يرمي إلى وضع اختصاص فلسفي جديد هو (فلسفة اللغة) بيد أن تلك المحاضرات صارت فيما بعد بوتقة للسانيات التداولية .

انطلق **أوستين** من ملاحظة بسيطة مفادها أن كثيرا من الجمل التي لا يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون، الراهنة أو السابقة إنما تغيرها أو تسعى إلى تغييرها. فجملة من قبيل أمرك بالصمت "لا تصف واقعا". بل تسعي إلى لتغيير حالة الضجيج إلى الصمت، وبناء على هذه الملاحظات قسم **أوستين** الجمل إلى " جمل خيرية " يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب مثل : المطر ينزل...؛ وتوجد جمل أخرى لا تصف الكون ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب وهي جمل إنشائية فسمى أوستين الجمل من الضرب الأول وصفية ومن الضرب الثاني إنشائية [1]

وقد كان كل من (أوستين)، و (سيرل) ، و(غرايس) فلاسفة ينتمون إلى مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية أو العادية وكانوا جميعا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال مرسل و رسالة إلى مستقبل يفسرها، وهو من صميم التداولية [2]

وقد شكلت أفكار وملاحظات "أوستين"، بداية موفقة لنظرية أفعال الكلام فهي أول نظرية تداولية لسانية، ثم سرعان ما فتئت تتطور شيئا فشيئا مع فلاسفة اللغة بعد أوستين وبخاصة مع تلميذه "جون سيرك"، لتظهر بعدها نظريات أخرى (القصدية والملاءمة والاستلزام الحواري، والحجاج ...) شكلت ما يعرف باللسانيات التداولية وما تضمنته من قضايا مختلفة [3] .ومن هنا كان موضوع التداولية

[1] – آن روبول، جاك موشلار ، التداولية اليوم ،(علم جديد في التواصل) ، ط1 ، تر : سيف الدين دعفوس ، محمد الشيباني ، لبنان ، دار الطبيعة للطباعة والنشر ، 2003 ، ص (29 ، 30) .

[2] – محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 9 .

[3] – ينظر: آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 30 .

يستخلص من مجموعة عوامل المقام الذي قيلت فيه العبارة ، وتشمل المتكلم والمخاطب والغاية التي يقصدها المتكلم وأثرها على المخاطب [1]

رابعا :قضايا التداولية :

تضم التداولية مجموعة من المفاهيم والقضايا ، تمكنها من معالجة اللغة في سياقات استعمالها المختلفة ولذلك أولى علماء اللسانيات هذه القضايا بعناية كبيرة في أبحاثهم اللغوية ، لكونها تسهم في كشف المعنى بأدق صورة ممكنة وأكثر ظبطا (أثناء الإستعمال) ، وقد عدت التداولية علما له قضايا يقوم عليها وهي :

أ – نظرية الأفعال الكلامية : (Les qctes de pqrole)

تعد دراسة الأحداث الكلامية من أهم الموضوعات التي تدرسها التداولية pragmatic وتهتم الأحداث الكلامية بتركيزها على الوظيفة الإتصالية التي يمتلكها منطوق ما أو هي الحدث الذي يؤديه هذا المنطوق كالوعد والأمر وغيرها .[2]

ب – مفهوم الفعل اللغوي : (Acte de longage) أو الفعل الكلامي (Acte de parole) أو فعل الخطاب (Acte de discours) وهو أساسي في اللسانيات التداولية عموما ، ونضرية الأفعال الكلامية خصوصا « والمقصود به الوحدة الصغري التي بفضلها تحقق اللغة فعلا نعنيه (الأمر ، طلب ، تصريح ، وعد ...) غايته تغيير حال المخاطبين و إن المتلفظ المشارك coénonciateur لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل التلفظ »[3]

---

[1] – خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، (مقاربة بين التداولية والنشر دراسة تطبيقية) ، (د.ط) ، الجزائر ، بيت الحكمة ، ص 25 .

[2] – رانيا فوزي عيسى ، علم اللغة النصي ، (رسائل الجاحظ نموذجا) ، (د.ط) ، مصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2014 ، ص 307 .

[3] – دومنيك مانغو نو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل خطاب . ط1 ، تر : محمد يحيا تن ، لبنان ، دار العربية للعلوم ، 2008، ص 7 .

وقد ارتبطت هذه النظرية بكل من " austin " و " searle " اللذان قالا بأن اللغة تتعلق بالإنجاز وبتحقيق نوايا المتكلمين ويقصد بالإنجاز أو الفعل الإنجازي قوة " فعل الكلام " [1]

- **أفعال الكلام عند " جون استين " jhom austin :**

لقد أسهم الفيلسوف جون أوستين بشكل كبير في وضع أهم الأسس التي قامت عليها هذه النظرية وكان ذلك في المحاضرات التي ألقاها في جامعة اكسفورد في العقد الثالث من القرن 20 ومن في محاضرات الإثنين عشر التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955 ونشرت سنة 1962 بعد موته بعنوان " how to doking wilh words " [2]

وقد قسم أوستين الفعل اللغوي إلى ثلاثة أفعال فرعية هي :

أ – فعل القول اللفض (فعل الكلام) Acte locutiore :

وهو اطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات باء نحوي سليم ، مع تحديد مالها من معنى ، وهذا الفعل يقع دائما مع كل قول كلغة و أن اعطى معنى ذلك القول فإنه لا يزال غير كاف لإدراكنا أبعاد هذا القول . [3]

ويعرفه أوستين بأنه:(نتاج جملة مزورة بمعني ومرجع وهذان العنصران يكونان الدلالة بمعني التقليدي)[4]

ب – الفعل المتضمن في القول (الفعل الإنجازي) Acte illocutiore :

وهو الحدث الذي يقصده المتكلم من العبارة ، وقد سماه أوستين بمصطلح آخر هو: « الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال ، القوى الإنجازية »[5]

---

[1] – رانيا فوزي عيسي ، علم اللغة النصي ، (رسائل الجاحظ نموذجا) ، ص 307 .

[2] – عمران قدور ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل ، ط1 ، الأردن ، علم الكتب الحديث ، 2012 ، ص 54 .

[3] – طالب سيدهاشم البطيطيائي ، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ، (د.ط) ، الناشر جامعة الكويت 1994 ، ص 8 .

[4] – عمران قدور ، البعد التداولي الحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل ، ص 54 .

[5] – محمود عكاشة ، النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ ، (د،ط) ، مصر ، مكتبة الآداب ، (د،ت) ، ص 61 .

ج – الفعل الناتج عن (الفعل التأثير) Acte perlocutoice :

هو ما يحققه القول من أثر في المتلقي وهذا ما يشير اليه محمد يونس على الفعل المرتب عن النطق prelocationguact وهو التأثير الذي يكون للحدث اللغوي في المتلوع طاعة الأمر الإقناع بالنصيحة أو تصديق المتكلم أو تكذيبه.[1]

كذلك هو القصد من العمل القولي التأثيري المتلقي إذ يتفرغ القصد إلى شيء ما إعتقادا أو تغيير سلوك فينطلق المتكلم من التعبير عن اعتقاد أو ارادة شيء ما (طلب)[2]

حيث شكلت افكار أوستين وأبحاثه السابقة في نظرية أفعال الكلام المرحلة الأولي التأسيسية لها حيث ساهم في إرساء قواعد لهذه النظرية ووضع مفهوما لنظرية الأفعال اللغوية إلى أن الجمل الإنجازية هي الجمل التي تنجز قولا وفعلا في الآن نفسه ووجه إهتمام إلى الفعل المتضمن في القول يعده صلب العملية اللسانية كلها ، أو فعل القول عنده فهو يكون من خلال التلفظ بخطاب ذي مفردات لها مراجع معروفة مطابقا لتركيب مقبول أي كما تقتضي الدلالة ، ولهذا فهو أساس الأصناف الأخرى .[3]

- **أفعال الكلام عند جون سيرل jhom searl :**

إنطلق الفيلسوف الأمريكي سيرل على درب أستاذه في دراسته الأفعال الكلامية وعمل على تطويرها فأعاد تقسيم الفعل الإنجازي إلى خمسة أصناف هي :

أ – التوجيهات (Directives) :وهي أفعال الغرض منها جعل المخاطب يقوم بفعل ما نحو " طلب ، أمر ، ترجي " [4] ، وهدفها جعل المرسل إليه يفعل شيئا ما ، حيث يحاول المرسل تحقيق هذا

---

[1] – محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، ص 35 .

[2] – شكري المبخوث ، دائرة الأعمال اللغوية مراجات ومقترحات ، ط1 ، بيروت ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، 2010 ، ص82 .

[3] – محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث المعاصر ، ص (64 ، 65) .

[4] – باديس لهويمل ، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم ، ص 26 للسكاكي (ت 626) .

الهدف بدرجات مختلفة تتراوح بين اللين وذلك بالإغراء أو الإقتراح أو النصح ، وبين العنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل الشيء.»[1]

ب – التعبيريات (**Expressises**) : هي التي تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم : شكر ، هنأ اعتذر [2] ، « فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم ولا العالم مطابق للكلمات ، وتدخل فيها الشكر والتهنئة والإعتذار والمواساة ...» [3]

ج – الوعديات (**commissires**) : وهدفها إلتزام المرسل ، بدرجات متنوعة ، بأفعال في المستقبل وهي مبنية على شرط الإخلاص [4]

والغرض منها إلزام المتكلم القيام بعمل ما في المستقبل نحو وعد وأقسم [5]

د – الأخباريات (**Assertives**) : وهذه الحالة الكلامية حالة صادقة أو كاذبة صحيحة أو غير صحيحة وفيها يتم توفير معلومة أو خبر للمتلقي كالتقرير والزعم والتنبؤ والإيضاح والتشخيص والوصف

هـ – الإعلانيات (**Declenations**) : وفيها يؤدي الإنجاز الموفق إلى توافق بين المضمون القضوي والواقع ، والإعلانيات تحدث وحدها بمقتضي حال أن تنجز بنجاح وذلك كالتعيين واعلان الحرب والحزن والاهداء والانذار والفصل والتوصية[6]

وهي الأفعال التي تحدث تغيرات فورية في نمط الأحداث العلرفية التي غالبا ما تقتصد على طقوس اجتماعية .[7]

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ط1 ، لبنان ، دار الكتاب الجديدة ، 2004 ، ص 158 .

[2] – باديس لهويمل ، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت 626) ، ص 26 .

[3] – محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 50 .

[4] –عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتجيات الخطاب ، ص 158 .

[5] – باديس لهويمل ، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت 626) ، ص 26 .

[6] – رانيا كوزي ، (عام اللغة النصي رسائل الجاحظ نموذجا)، ص 309 .

[7] – ينظر أحلام صولح ، أفعال الكلام في نصح البلاغة للإمام علي رضي الله عنه ، ص 67 .

فالفعل الكلامي عند " سيرل " أوسع من أن يقتصر على مراء المتكلم بل هو مرتبط ايضا بالعرف اللغوي والإجتماعي ، وهذا التصنيف الذي صنفه يعتمد على كافة الأشكال الكلامية التي يستخدمها أبناء اللغة ، وهو يري أن اي إستخدام لغوي لا يخرج عن هذه الأنماط التي تعبر عن الحالات المختلفة للفعل أو الحدث الكلامي ، وقد مثلت أبحاثه مرحلة النضج والضبط المنهجي لنظرية الأفعال الكلامية قبل أن تتطور أكثر على يد من جاء بعده

- **الإشاريات Deicties** :

فهذه الإشاريات لا يتحدث مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي ، لأنها خالية من أي معني في ذاتها فالبرغم من ارتباطها بمرجع ، إلا أنه مرجع غير ثابت [1] وهي تشمل الضمائر ، وأسماء الإشارة ، وزمان الفعل وبعض ظروف الزمان والمكان ، وهي خمسة أنواع :

1 – الاشاريات الشخصية : personnel Deictics :

وتعني هذه الاشاريات بدراسة الكلمات والتعبيرات التي تعتمد على السياق[2]وهي بشكل عام الاشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب و أوضح هذه العناصر الاشارية ، الدالة على شخص ماهي ضمائر الحاضر ويقصد بها الضمائر الشخصية الدالة على المخاطب المفرد جمعا مذكر أو مؤنثا[3]

2 – الإشاريات الزمانية : Temporal deicties :

هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق قياسا إلى زمان التكلم حيث يعد هذا الأخير مركز الاشارة الزمانية ، فإذا لم يعرف هذا المركز التبس الأمر على السامع أو القارئ[4]

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص 80 .

[2] – رانيا فوزي عيسي ، (علم اللغة النصي رسائل الجاحظ نموذجا)، ص 305 .

[3] – باديس لهويمل ، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي ت (626) ص 35 .

[4] – محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص (17 – 26).

3 – الإشاريات المكانية : spatial deicties :

وتفي تلك التعبيرات الدالة على مكان كل من السامع والمتكلم [1]

4 – الإشاريات الإجتماعية : social deicties :

هي عناصر لغوية تستخدم للدلالة على نوع العلاقة الإجتماعية بين المتكلمين والمتخاطبين من حين كونها : علاقة رسمية (formal) أو علاقة ألفة ومودة (intinacy) ، فهناك ألفاظ تستخدمها في الخطاب الرسمي (حضرتك ، سعادتك ، معالي الوزير ...) وأخري نوظفها على من بكن لهم احتراما لمكانتهم الإجتماعية ، وتعد الإشاريات الإجتماعية مجالا مشتركا بين اللسانيات الإجتماعية مجالا مشتركا بين اللسانيات الإجتماعية واللسانيات التداولية .[2]

5 – الإشاريات الخطابية Discourse deicties :

قد تلتبس إشاريات الخطاب بالإحالة إلى سابق (anaphora) أو لاحق (cataphora) ولذلك اسقطها بعض الباحثين من الإشاريات ، ولكن منهم من ميز بين النوعين فرأى أن الإحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه ، على أن هذا التمييز بين إشاريات النص والإحالة إلى عنصر فيه ليس حاسما ، ذلك بأن الإحالة قصاراها ضرب من إشاريات النص ، أو هي أساس فيها وقد يبدو طبيعيا أن تستعار اشاريات الزمان واشاريات المكان لتستخدم اشاريات الخطاب .[3]

ومن الملاحظ أن ما أشار إليه بعض الدارسين إلى أنواع الإشاريات ثلاثة : " شخصية " و " رمانية " و " مكانية " ومنهم من يضيف نوعا آخر هو الإشاريات " الإجتماعية " وفي الأخير من يضيف نوعا آخر هو الإشاريات " الإجتماعية " وفي الأخير يكاد يتفق أنها خمسة انواع – كما قمنا بعرضها سابقا–

---

[1] – رانيا فوزي عيسي ، علم اللغة النصي رسائل الجاحظ نموذجا ، ص 305 .

[2] – باديس لهويمل ، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي ت (626) ، ص 36 .

[3] – محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث المعاصر ، ص 24 .

وهذا ما أكده نعمان بوقرة بقوله « ألفاظ دالة على عناصر عائبة حاضرة،حصر لها ليفنسون في : إشاريات شخصية،إشاريات زمانية،إشاريات مكانية،إشاريات اجتماعية،اشاريات خطابية »[1]

1 – متضمنات القول : Les implicites :

حيث يرتبط هذا المصطلح بمفهومين إثنين هما : الإفتراض المسبق و الأقوال المضمرة .

وقد عرفه مسعود صحراوي " متضمنات القول " Les inplicites أنه : « رصد جملة من الضواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب ، تحكمها ظروف الخطاب كسياق الحال وغيره »[2]

وإن معرفة الأقوال المتضمنة يتم بمعرفة قوانيت الخطاب والحديث عن قوانين الخطاب في هذا السياق هو حديث من مجمل الشروط النفسية والموضوعية التي تحيط بالعملية التخاطبية والخطاب .[3]

مثال : – البارحة فاجأت زوجتي ، وأي مفاجأة ! ، لقد اهديتها علبة كرميلة بمناسبة عيد ميلادها ولماذا فاجأها إلى هذا الحد ? ، – لأنها كانت تتوقع أن أهديها معطفا من الفرو يستطيع ومن دون تردد أن نعتبر السمة القيمة لكلمة (مفاجأة) " Suprise " التي يرتكز عليها ، من جملة أمور أخرى تأثير هذا الحوار الهزلي (أي علامة الإستفهام ((?))) بمثابة المضمن إذ قد تتصف المفاجأة على الصعيد التعييني بكونها سارة أم غير سارة على حد سواء ، حتى لو أن هذا المصطلح ينطوي عموما على الصعيد التضميني على معنى ((المفاجأة السارة)).[4]

2 – الإفتراض المسبق : présupposé :

وهو من أبرز مفاهيم التداولية ، فهو يعتبر أحد ركائز التداولية اللغوية ، وأنه مصدر تواصلي آخر ، يعني بتغير عملية التخاطب ومدى فهم المتكلمين بعضهم البعض برغم الغموض الذي قد يبدوا ظاهرا

---

[1] – نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل خطاب ، ط1 ، (د.ب) ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، (د.ت) ص 87 .

[2] – مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب ، ص 30 .

[3] –عمر بلخير ، الخطاب تمثيل للعالم ، مذكرة ماجستر في اللغة العربية ، جامعة مولود معمري تيزي وزو – الجزائر ، 1997 ، ص 108 .

[4] – كاترين كيربرات واوريكوفي ، المضمر ، ط1 ، تر : ريتا خاصر ، لبنان ، المنظمة العربية لترجمة ، 2008 ، ص (78 ،79) .

على الجملة والعبارات التي ينطلق بها المتكلم كما يحدد جورج يول مفهوم الإفتراض على أنه :«علاقة بين إفتراضين »[1] ، ويعرفه ديكرو (Decrot) الإفتراض المسبق بقوله : « عنصر دلالي خاص للمفوض (أ) بتعلقه التحويلي تارة بمجال الإستفهام : هل (أ) ? وتارة أخرى بمجال النقي يكون من الخطأ (أ) »[2] ، ومثال ذلك :

أ – (توقف المصنع عن الإنتاج) تحويله إلى استفهام يعطينا

ب – (هل توقف المصنع عن الإنتاج ?) ، ثم نفيه

ج – (لم يتوقف المصنع عن الإنتاج) .

هذه التحولات تظهر لنا شيئا ضمنيا بين الأقوال الثلاثة وهو د = (كان المصنع ينتج) والقول " د " هو الإفتراض المسبق . إذا تمكنا من معرفة حال المصنع بمجرد تلفظ المتكلم ب " أ " وإصطلح عليه ديكرو بالقول المضمر. إن المتتبع لحقيقة الإفتراضات المسبقة توصلنا إلى نتيجة مفادها أنه : « من الممكن وصف الإفتراضات المسبقة على أنها أفعال كلامية افتراضية . وهي في نفس درجة الأمر والإستفهام ، فلو تلفضنا ب : (أغلق الباب) . فلا بد أن يكون هذا التلفظ له تأثير في المستمع (المخاطب) . ولهذا الأخير القدرة على الطاعة وتأويل القول بمعنى " إغلاق الباب " الذي هو مفتوح مسبقا ولا تسند وظيفة الأمر إلا بمن وجد في وضع يسمح له بإصدار الأوامر . »[3]

ويقول مسعود صحراوي في مؤلفه " التداولية عند العلماء العرب " بأن الإفتراض المسبق هو : «الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل ، وهي محتواه ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة »[4]

---

[1] – جان سرفوني ، الملفوظية ، (د.ط) ، تر : قاسم المقداد ، (د.ب) . منشورات إتحاد الكتّاب العرب ، 1981م ص 52 .

[2] – عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ط1 ، الجزائر ، منشورات الإختلاف ، 2003م ، ص 112 .

[3] – ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ط2 ،تيزي وزو – الجزائر ، دار الأمل ، 2012 ، ص 136 .

[4] – مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب ، ص 30 .

مثال : ففي الملفوظ (1) ، مثلا : (1) أغلق النافذة ، وفي المفوظ (2) : (2) لا تغلق النافذة

في الملفوظين كليهما خلفية " الإفتراض المسبق " مضمونها " أن النافذة مفتوحة " ، وكل هذا موصول بسياق الحال وعلاقة المتكلم بالمخاطب[1] فالإفترااات المسبقة تعبر عن قصدية إنسانية أنتج لأجلها الملفوظ . وهذه القصدية تستوجب إعادة بنائها ليتم في ضوئها فهم معناها الكلي . وللظفر بذلك يجب التسليم ب « أن معني الملفوظ ليس هو القد الدال على المتكلم بالذات بل هو المعنى الذي يستخرجه المخاطب من الملفوظ منطلقا في ذلك من بنيته الدالة . ومعتمدا على مجموع الكفايات التي يمتلكها هو . ومقدار الكفايات التي يمتلكها المتكلم وحادسا قصده الدلالي »[2]

ينتمي الإفتراض المسبق إلى الجهاز المفاهيمي للإستراتيجية التداولية ، وهو يحدد على أساس معطيات لغوية ، ويرى التداوليون أن الإفتراضيات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ ففي التعليميات Didactique ، ثم الإعتراف بدور الإفتراضيات المسبقة منذ زمن طويل فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بالإفتراض وجود أساس سابق يتم الإنطلاق منه والبناء عليه[3]

* أنواع الإفتراض المسبق :

يميز الباحثون بين نوعين من الإفتراضات المسبقة هما : الإفتراض المنطقي (الدلالي) والإفتراض التداولي. فالبنسبة للأول – الإفتراض المسبق الدلالي – فإنه يستلزم أن تكون الجملتين محيحثين (الجملةالمحكمية والجملة المفترضة ، مثل : يعرف محمد أن الأرض كوكب شمسي . فالإفتراض المسبق أن الأرض كوكب شمسي ، فإذا كانت الجملة الأولى صحيحة فإن الجملة المفترضة صحيحة .

[1] – محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 26 .

[2] – حافظ اسماعيل علوي ، التداوليات علم إستعمال اللغة ، (د.ط) ، الأردن ، عالم الكتب الحديث ، 2011 ، ص 128 .

[3] – أسعد بولنوار ، الآليات التداولية في تفسير أضواء البيان للشنقيطي ، تحديد المفاهيم النظرية ، مجلة الآثر ، العدد 13 ، جامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر ، مارس 2012 ، ص126 .

أما الثاني أي الإفتراض التداولي فلا دخل له بالصحة أو عدمها ويبقي قائما غير متأثر بالنفي وخاصيته الإفتراض المسبق هذه عموما توصيف « بالإطراء عند النفي ، وتعني من حيث الأساس أن الإفتراض المسبق (النداولي) لمقولة ما سيبقي ثابتا (أي صحيحا) حتي عند نفي تلك المقولة . »[1]

وتحدد أركيوني هذا النوع من الإفتراض المسبق في قولها : " نطلق إسم افتراضيات تتعلق ب : " شروط النجاح " وبنوع خاص بشروطه " التمهيدية " التي يجب استيفاؤها بغية تمكين فعل الكلام الذي يدعي القول إنجاوه من النجاح على صعيد تأثيره غير المباشر . »[2]

فهناك من الباحثين من أراد أن يجعل من الإفتراض المسبق التداولي بديلا للإفتراض الدلالي ، ومنهم من رفض قصره على جانب واحد لأن بعض ظواهر الإستعمال اللغوي تحتاج في إيضاحها إلى إفتراض تداولي فليس من الممكن الإستغناء بأحدهما في الآخر [3]

ونستنتج من خلال ما سبق أن الإفتراض المسبق من أهم المفاهيم التداولية بإعتبارها ذات طبيعة لسانية تتعلق بجوانب ضمنية وحقية من قوانين الخطاب الذي يتم بين المرسل والمرسل إليه في العملية التواصلية فالإفتراض المسبق يجب أن يكون على علم به كلا من طرف التواصل (المتكلم ، المخاطب ، فهو ضروري لكل عملية تواصلية .

3 – الأقوال المضمرة Les sous – entendus :

تشكل النمط الثاني من متضمنات القول وتستند إلى وضعية الخطاب وسياق وروده ، وترى الباحثة أوركيوني orechioni أنه ((كتلة المعلومات التي يمكن الخطاب أن يحتويها ، ولكن تحقيقها في الواقع يبقي رهن خصوصيات سياق الحديث)) .

مثال : إن الجوّ بارد في الخارج .

---

[1] – جورج يول ، التداولية ، ط1 ، تر : قصي العتابي ، المغرب ، دار العربية للعلوم ، 2010م ، ص 52 .

[2] – كاثرين كيربرات وأوريكوني ، المضمر ، ص 69 .

[3] – محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 28 .

فالسامع حين يصله هذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد دعوته إلى المكوث وعدم الخروج من الغرفة أو الإسراع بإقفال النافذة كي لا يدخل البرد ، أو لبس المعاطف عند الخروج وعدم نسيانها ، فقائمة التأويلات متعددة بتعدد السياقات والمقامات التي تقال فيها تلك الأقوال .[1]

وقائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب . والفرق بينه وبين الإفتراض المسبق أن الأول وليد السياق الكلامي والثاني ملابسات الخطاب[2]

4 – الإستلزام الحواري : consessational implicature :

هو من أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداوليات وهو مفهوم لصيق بلسانيات الخطاب التي أخذ معها البحث اللساني منحي متميزا ، إذ لم يعد الأمر معها يعني بوضع نظريات عامة لعملية الخطاب وإنما انصب الإهتمام على العملية في حدذاتها .[3]

وتعود نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي دعا بول غرايس (grice) التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1967 ، قدم من خلالها تصوره بإيجاز لهذا الجانب من الدرس ، والأسس المنهجية التي يقوم عليها ، طبعت أجزاء مختصرة منها سنة 1975 في بحث بعنوان المنطق والحوار وسع بعد ذلك بحثين الأول سنة 1978م والثاني 1981م.

وقد أسس غرايس هذه النظرية من خلال إيضاح : " أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون ويقصدون أكثر مما يقولون ، وقد يقصدون عكس ما يقول "[4]

---

[1] – باديس لهويمل ، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت 626) ، ص 29 .

[2] – مسعود صحراوي ، التدولية عند علماء العرب ، ص 52 .

[3] – العياشي أدراوي ، الإستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الظابطة لها ، ط1 ، المغرب ، دار الأمان ، 2011م ، ص 17 .

[4] – محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعام ، ص (32 ،33) .

وتتمثل الفكرة الأساسية في " مفهوم المحادثة " في أن المتخاطبين عندما يتحاورون إنما يقبلون ويتبعون عدد معنيا من القواعد الضمنية اللازمة لإشتغال التواصل والمبدأ الأساسي هو " مبدأ التعاون "[1]

حيث يعتبر هذا المبدأ – مبدأ التعاون cooperative principal – أساسية للعملية التخاطبية إذ يربط بين أطراف الحوار بشكل مستمر ، فيسعون إلى تحقيق التفاهم فيما بينهم بطريقة عقلانية منطقية ، وهو مبدأ إجتماعي يتحكم في العلاقات الإجتماعية للمتكلمين من خلال الإستعمال العرقي للغة ، وأخلاقي لم يوجد من إحترام وتداول بين المتحاورين حتي يتحقق التواصل بينهم ويصلوا إلى فائدة مشتركة تنمو بقدر ما يساهم كل طرف مساهمة فعالة في الحوار بها يراه مناسبا لمقام التخاطب[2]

أما المسلمات الأربعة التي يقوم عليها " مبدأ التعاون " فهي :

1/ – مبدأ الكم quantité :ويعني وجوب إلتزام المسمم في الحوار بالقدر المطلوب من المعلومات دون أن يزيد أو ينقص

2/ – مبدأ الكيف qualité : مفاده أن لا يساهم المتكلم في الحوار بها يعتقد أنه كاذب وبما لا يستطيع البرهنة عليه .

3/ – مبدأ الملائمة (المناسبة العلاقية) prutiance : وينص على أن المشاركة في موضوع الحوار تكون المناسبة وفي الصميم (أي مفيدة) ، يقول ديكرو " على المخاطب تقديم المعلومات اللازمة والتي يملكها عن موضوع الخطاب وغرضها إفادة المخاطب[3]

4/ – مبدأ الطريقة manner : (**يتعلق بجهة الخبر**) : وهي :

– لتختر زمن زمن الخفاء في التعبير

[1] – فليب بلانشية ، التداولية من أوستين إلى غولفمان ، ط1 ، تر : صابر الحباشة ، سوريا ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، 2007 ، ص 84 .

[2] – فرانسواز ارمنيكوا ، المقاربة التداولية ، ط1 ، تر : سعيد علوش ، (د.ب) ، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع ، 1987 ، ص 72 .

[3] – ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ و التداوليات الخطاب ، ص 176 .

- لتختر زمن الإشتباه في اللفظ

- لنتكلم بإيجاز

- لترتيب كلامك

والغاية من هذه القواعد هي ظبط عملية التخاطب للوصول إلى الغاية المتمثلة في إيصال المعاني على حقيقتها حفاظا على مبدأ التعاون[1]

ومن أعمال " غرايس " أيضا في هذا الموضوع أنه ميز بين نمطين من الإستلزام :

1/ الإستلزام العرفي : قائم على ما تعاون عليه أصحاب اللغة من الألفاظ التي لها دلالات ثابته لا تتغير بتغير السياق والتراكيب ، ويكون ما بعدها مخالف لما يتوقعه السامع كأن يقال : زيد غني ولكنه بخيل .

2/ الإستلزام الحواري : متغير بتغير السياقات التي يرد فيها[2] ، فهو يرتبط بمعني متضمن يرمي إليه المتكلم في حواره مع المتلقي ، قد يفهمه هذا الأخير وقد لا يفهمه إلا بقرائن معينة . وهو ذاته ما يشير إليه أحمد المتوكل حين قال : « لاحظ غرايس أن جمل اللغات الطبيعية يمكن ، في بعض المقامات أن تدل على معنى غير المعنى الذي يوحي به محتواها القضوي (أو معناها الحرفي) ... »

إذ أن لا يتأنى مما تتضمنه الجملة في شكلها الظاهر بل هو المعنى آخر يرتبط بكل ما يحيط بإنتاجها من سياقات .[3] ويمكن تعريف الإستلزام الحواري إنه : عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر ، أو أنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة حرفيا .[4]

---

[1] – طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، ط1 ، الدار البيضاء – المغرب ، المركز الثقافي العربي ، 1998 ، ص 238 .

[2] –المرجع السابق ، ص (32 ، 33) .

[3] – أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، ط2 ، لبنان ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2010 ، ص (26 ،27) .

[4] – صلاح إسماعيل عبد الحق ، نظرية المعنى في فلسفة يول غرايس ، ط1 ، مصر ، الدار المصرية السعودية ، 2005 ، ص 78 .

- **السياق التاريخي للمفاهيم التداولية :**

وفي الأخير نختم بهذا الرسم الذي يصنع أبرز مفاهيم التداولية في سياقها التاريخي التطوري ، وقد نقلناه عن موشلر بشيئ من التعديل .

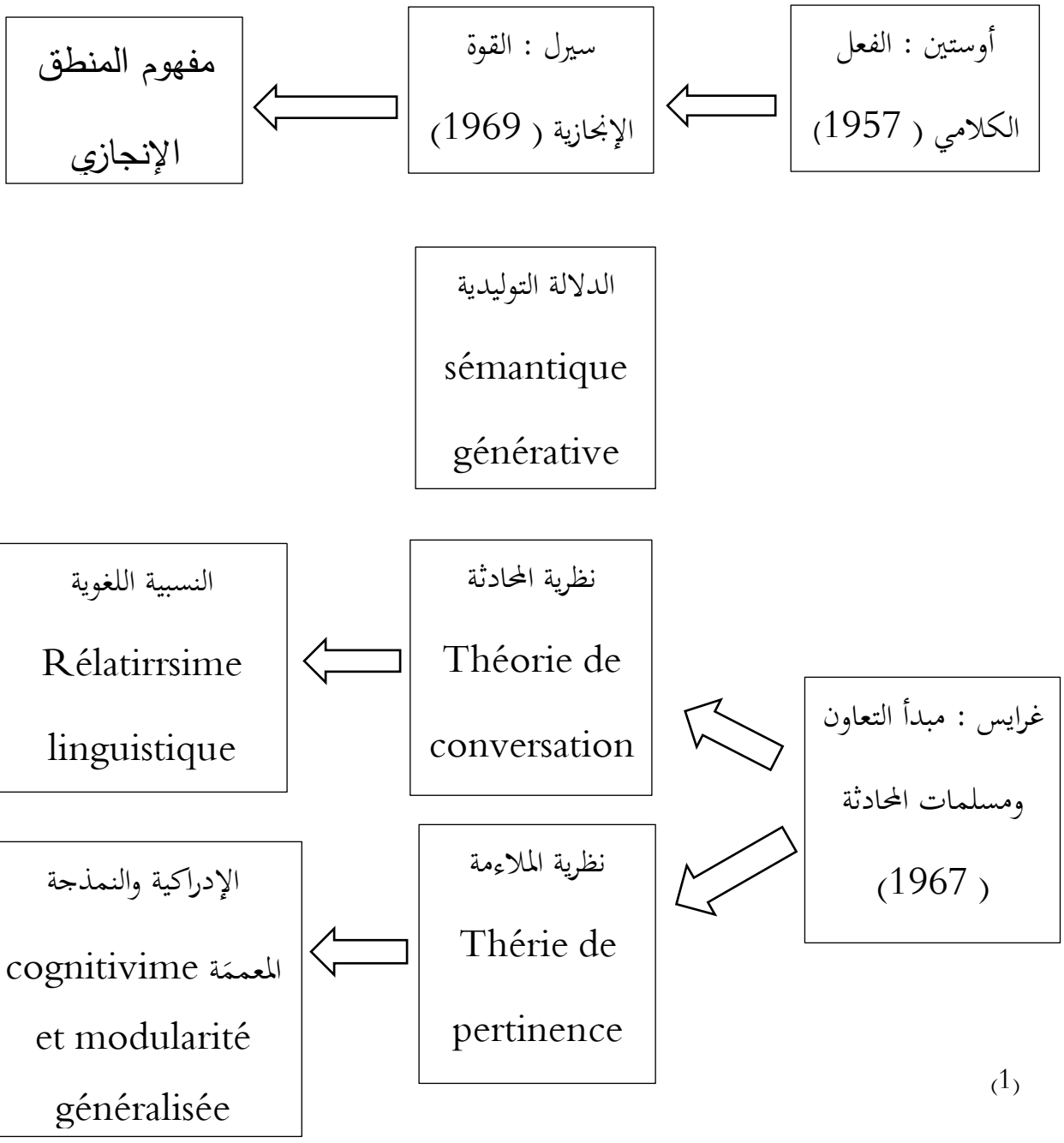

(1)

(1) – مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب ، ص45 .

خامسا : مفاهيم التداولية :

تقوم التداولية على ثلاثة مفاهيم يمثل تحديدها أساس الدرس التداولي لوجودها متضمنة القراءة التداولية لكل الخطابات وهي :

أ / – مفهوم الفعل :

ويتضمن كون اللغة لا تخدم فقط تمثيل العالم بل تخدم إنجاز أفعال فالكلام هو أن نفعل أي بمعنى واضح هو فعل في الآخرين. ويعني غير ظاهر ولكنه واقعي [1]

يتجاوز مفهوم الفعل في التداولية مفهوم تمثيل العالم وإنتاج ألفاظ دالة على المعاني، إلى القيام بفعل وممارسة التأثير من خلال استعمال اللغة وهذا المفهوم الذي أسس لنظرية أفعال الكلام، وقد قسم اوستين الأفعال إلى إنجازيه، وتقريرية أو واصفة، بحيث يقترن في الأولى الانجاز بالتلفظ نحو: بعت، اعتقدت ... فالعمل هنا دلالة اللفظ، وفي الثانية تصف حالة عالم مستقل عن التلفظ نحو: إقتربت الساعة، إلى جانب ذلك قسم سيرل الأفعال الإنجازيه إلى خمسة أصناف (التأكيدات، الأوامر، التزامات، التصريحات، الإدلاءات) ، وهو تصنيف يصب في خانة المفهوم التداولي للفعل أو الممارسة الفعلية للغة التي ترتبط دلالتها الفعلية بالحال أو السياق [2]

ب/ – مفهوم الكفاءة :

هي حصيلة اسقاط محور الفعل على محور السياق وبناء على ذلك تتحدد كفاءة وميزات المتكلمين : إن سيرورة العمل التخاطبي للوصول إلى المعنى يتحدد عبر سيرورة خطبيه ينطلق من المتكلم الذي يحاول انجاح خطابه، مرورا بمحتوى الرسالة وما يستلزمها من خصائص تضمن نجاح التواصل وصولا إلى احتياجات السامع الذي يكيف الرسالة وفق احتياجاته، وإذا كانت التداولية تعني بالجانب

---

[1] – خنفاوي بعلي ، التداولية البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة ، مجلة اللغة والأدب ، العدد 17 ، معهد اللغة العربية و آدابها ، الجزائر ، 2006 ، ص 55 .

[2] – عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، ط1 ، الجزائر ، دار هومة ، 2007 ، ص 403 .

التواصلي وتحاول – كما يري بيرس – أن تكون منهجا من أجل تقرير دلالة الألفاظ الغربية، فإنها تعنى أساسا في إجراءاتها بفهم الجملة الواحدة من الكلام انطلاقا من العناصر المعجمية أو المعطيات السياقية [1]

ج/ – السياق :

ويقصد به الوضعية الملموسة التي توضع وتنطلق من خلالها مقاصد تخص المكان والزمان ، وهوية المتكلمين ... إلخ ، وكل ما نحن في حاجة إليه من أجل فهم وتقييم ما يقال، وهكذا ندرك مقدار أهمية السياق حين نحرم منه مثلا، وحين تنقل إلينا المقاصد عبر وسيط وفي حالة معزولة عن السياق الذي يصبح مبهما ودون قيمة، وعلى عكس ذلك فاللغة العلمية واللغة القانونية أجهدتا نفسيهما على الدوام في إيجاد المقاصد التي هي عبارة عن نصوص مكتوبة في الغالب لتمرير كل الأخبار السياقية الضرورية للفهم الجيد كما يعبر عنه [2]

[1] – المرجع السابق، ص 403 .

[2] – خنفاوي بعلي، التداولية البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، ص 55 .

الفصل الأول : السياق وعلاقته بالتداولية

مفاهيم ومصطلحات

المبحث الأول : مفهوم السياق

أولا : تعريف السياق

ثانيا : أنواع السياق

ثالثا : السياق عند العرب والغرب

أولا : مفهوم السياق :

أ / المعنى اللغوي :

يعود الأصل اللغوي للفظ السياق " إلى مادة " سوق " فقد جاء في أساس البلاغة للزمخشري : « ... وهو من السوقة والسوق وهم غير الملوك، وتسوق القوم: اتخذوا سوقا، وسوق أسوق وسيقان ورجل أسوق: طويل الساق و امرأة سوقاء، وفيها سوق، ودعت الحمامة ساق حر. ونجى العدو الوسيقة والسيقة وهي الطريدة التي يطردها من إبل الحي. ومن المجاز: ساق الله إليه خير ، وساق إليها المهر وساقت الريح السحاب، وأردت هذه الدار بثمن، فساقها الله إليك بلا ثمن، والمختصر يسوق سياقا وفلان في ساقه العسكر: في آخره وهو جمع سائق كقادة في قائد ، وهو يساوقه ويقاوده وتساوقت الإبل تتابعت ... »[1].

– كما ورد في لسان العرب لابن منظور: في مادة سوق: السّوق: معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق ، شدد للمبالغة وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت . وساق إليها الصّداق والمهر سياقا وأساقه، وإن كان دراهم أو دنانير، لأن أصل الصّداق عند العرب الأبل ، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما، وساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها. رأيت فلانا يسوق سووقا أي ينزع نزعا عند الموت ،يعني الموت.[2]

من خلال تقديم بعض المفاهيم اللغوية لمختلف اللغويين القدامى تستنتج أن السياق اللغة له عدة معاني منها :

---

[1]– الزمخشري ، أساس البلاغة ،ص (518 ، 519) .

[2]– إبن منظور ، لسان العرب ، ص 166 .

1 – يدل على حدث وهو سوق الإبل وتتابعها ومنها انتقال الدلالة لتعبير عن المجاز وهو المهر والصداق الذي يدفع للمرأة .

2 – الدلالة على نزع الروح لحدوث ذلك حال الموت

ب / المعنى الإصطلاحي :

يطلق مصطلح السياق (context) في الفكر اللغوي على أجزاء القول أو النّص المجاورة أو القريبة من الوحدة اللغوية المراد تفسيرها وهو على نوعين : الأول منها يعني جزءا من نص يحيط بكلمة أو قطعة معينة ويحدد معناها، وهو ما يعرف بالسياق اللغوي للنص ؛ والثاني منهما يعنى الظروف المختلفة التي يقع فيها حدث معين وتحدد معناها، سواء أكانت هذه الظروف مستقلة، أو متغيرة[1]

أي أن هناك نوعين من السياق :داخلي (لغوي) وسياق خارجي (غير لغوي) تمثله الظروف المحيطة بطرفي التواصل.

ويرى هاليدي (M.Hllidoy) أن السياق : « هو النص الآخر أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية »

وتقول بروس أنغام : « السياق واحدا من إثنين » :

أولا: السياق اللغوي وهو ما يسبق الكلمة، وما يليها من كلمات .

وثانيا: السياق غبر اللغوي أي الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام[2]

---

[1] – عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ط1 ، لندن ،مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ، 2013 ، ص 11 .

[2] – ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطاحي ، دلالة السياق ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في علم اللغة ، المجلد1 ، جامعة أم القرى ، السعودية 1418، ص 40.

فالملاحظ أن التعريفات السابقة قد ركزت على نوعين من السياق الأول : والذي يسمى السياق اللغوي فهو مجموعة العناصر التي تسبق أو تلحق وحدة لغوية معينة : (فونيم، كلمة، تركيب،... خطاب) ، وتحكمها علاقات نحوية ومعاني محدد ؛وثانيا: السياق غير اللغوي: أي الظروف التي تحيط بالنص خارجه عن اللغة تتصل بالمرسل والمستقبل ، والمقام ككل .

ثانيا : أنواع السياق :

إن تعدد أنواع الكلمة الواحدة يرجع إلى تعدد المواضع التي ترد فيها والذي يؤدي بدوره إلى أنواع عديدة من السياقات، ويرى أصحاب نظرية السياق أن معنى الكلمة هو« **استعمالها في السياق** » أي أن دراسة معنى أي كلمة من الكلمات يتطلب تحليل السياقات والمواقف التي ترد فيها واستعمال الكلمة عند هؤلاء يحكمه أمران :

الأول : السياق اللغوي نفسه (Contexte of situation) :

الذي لا ينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة، فالكلمة يتحدد معناها بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في سلسلة كلامية.

الثاني: سياق الموقف (contexte of situation) :

أو سياق الحال عند فيرث (J.R.Firt) ، وهو نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، وسياق الحال يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعا كلاما وكتابة غير أن بلومفيلد السلوكي حد سياق الحال بظواهر يمكن تقريرها في إطار من الأحداث العملية وهو عنده مادي، ولهذا نجده يتجاهل حقائق لها شأن بالكلام.[1]

[1] – ينظر: فطومة لحمادي ، السياق والنص (إستقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي) ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية ، العدد 32 ، الجزائر ، 2008 ، ص (7 ، 8) .

يقول (فيرث): إن سياق الحال يقودنا إلى الحديث عن العناصر الآتية:

1 – الأشخاص والشخصيات التي لها علاقة بالموضوع (أفعال الأشخاص المترجمة بالأقوال، الأفعال الغير المترجمة بالأقوال)

2 – الأشياء التي لها علاقة بالموضوع .

3 – تأثير الأفعال المصحوبة بالأقوال[1]

غير أننا سنركز في عرضنا هذا على منظور المؤسسين لعلم النص على وجه التحديد – باعتبار أن السياق يمس جوانب عديدة وشاملة مما يقتضي منا حصره في الإطار الخاص بالسياق التداولي بشكل مباشر .

ويذهب بعض الباحثين إلى اقتراح تقسيم آخر للسياق يشمل كل ما يتصل باستعمال الكلمة من علاقات لغوية وظروف اجتماعية وخصائص وسمات ثقافية، ونفسية، وغيرها وعلى هذا يمكن أن يقسم السياق إلى أربعة أقسام هي: [2]

أولا : السياق اللغوي :

وهم يعنون بالسياق اللغوي البيئة اللغوية للنص من مفردات وجمل وخطاب حتى أصبح عند ستيفن أولمان (stephen ullman) يشمل القطعة كلها والكتاب كله ، فالنص – من جهة نظر أصحاب هذه النظرية – يجب أن يحلل وفق المستويات اللغوية (linguistic level) المختلفة :

[1] – مسعود بودوخة ، السياق والدلالة ، ط1 ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012 ، ص 53

[2] – فطومة لحمادي ، السياق والنص (إستقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي) ، ص 12 .

المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى المعجمي كخطوة أولى في طريق فهم المعنى[1]

1 – السياق الصوتي : ويهتم بدراسة الصوت داخل سياقه، إذ يعتبر الفونيم المادة الأساسية في قيم الدلالة باعتباره وسيلة مهمة لتوزيع الأصوات داخل السياق وفق محتواها الوظيفي مثلا: قال – كال، إذ ليس السياق للصوت درجة قيمة داخل نفسه وإنما مهمته الوظيفية تكمن في تأثيره الدلالي داخل منظومة السياق.

فبفضل الصوت يتم توزيع الكلمات في سياقها المناسب، إن توزيع قال في السياق غير توزيع كال وهكذا.[2]

كما ذكر وأكد السياقيون بأن هناك ظاهرة أسلوبية مميزة في الكلام المنطوق وهو ما يطلق عليه في علم الأصوات بالفونيمات فوق التركيبية أو الظواهر التطريزية وهذه الظواهر هي:

أ – النبر:

عرف محمود السعران النبر بأنه : « درجة أو قوة النفس التي ينطق بها الصوت أو المقطع، فالأصوات هي : أ ، ب ، ت ، ث ...، أما المقطع فهو عبارة عن صوتين : الأول صامت، والثاني صائت فكلمة مثل : (كتب) تتكون من ثلاثة مقاطع وستة أصوات وعلى الشكل الآتي :

/ك/،/ت/،/ب/.

أما عند أحمد مختار عمر هو :

---

[1] – عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ص (13 ، 14) .

[2] – فطومة لحمادي ، السياق والنص (استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي) ، ص 12 .

نشاط ذاتي للمتكلم ينتج عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقطع بالنسبة لما يحيط به » والنبر على ثلاث درجات :

- النبر القوي (strong stress)

- النبر المتوسط (Middle stress)

- النبر العيف (weak stress)

فالنبر إذن بأنواعه يقوم بوظيفة تمييز بين المعاني داخل الكلمة يقوم به المتكلم من خلال الضغط على صوات من الأصوات داخل الكلمة أو مقطع بالنسبة للمقاطع المجاورة له .

2 – التنغيم :

وهو قمة الظواهر الصوتية التي تكسو المنطوق كله وتخلل عناصره المكونة له، وتكسبه تلوينا موسيقيا معينا حسب مبناه ومعناه وحسب مقاصده التعبيرية وفق السياق الحال والمقام وللتنغيم أو التلوين الموسيقي دورا في التفريق بين الأساليب الخيرية والإنشائية، وعبر ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء عملية النطق للتعبير عن المعاني المختلفة التي يروم المتكلم إيصالها إلى المتلقي أو مجموعة المتلقين، فقد يكون الأسلوب من حيث التركيب خبريا ومعناه إنشاء، وقد يحدث العكس[1]

2 – السياق الصرفي :بأن المورفيمات سواء كانت حرة أو مقيدة لا قيمة لها إلا إذا كانت ضمن سياق تركيب معين، ومثلها أحرف المضارعة وسواها، حيث تمارس وظيفتها داخل النص.[2]ففي هذا المستوى ندرس أبنية الصيغ المكونة لأسلوبنا ، فندرس على سبيل المثال أقسام الكلام، والمشتقات

[1] – عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ص (15 ، 16 ، 17) .

[2] – عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، ط1 ، الأردن ،دار الصفاء ، 2002 ، ص 747 .

والجموع بأنواعها المختلفة وكذلك البناء للمعلوم والمجهول وغيرها وهذه كلها لها وظائف في تحديد الدلالة ، فتفريقنا بين المفرد والمثنى والجمع :

1- جاء المدرس .

2 – جاء المدرسان .

3 – جاء المدرسون.[1]

فهذه الجمل الثلاثة لها معاني مختلفة فالجملة الأولى تدل على المفرد والثانية تحمل دلالة المثنى أما الثالثة فهي تعبر عن الجمع ، ومن هذا باب زيادات الأفعال، إما أن تكون ثلاثية أو رباعية، ومزيد الثلاثي إما أن يزاد بحرف واحد، وله ثلاثة أوزان: (أفعل ، وفعّل ، وفاعل) أو يزداد بحرفين وله خمسة أوزان : (انفعل ، وافتعل ، وأفعل ، وتفاعل ، وتفعّل) وغيرها، وإن الزيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى ،وذلك قد جعلوا لهده الأوزان معاني تدل عليها منها : الصيرورة، والمشاركة، والسلب، والإزالة ، والاتخاذ ، والتدرج والتكثير، والاستحقاق، والتصرف[2]

3 – السياق النحوي (التركيبي) :

هو شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية كالإعراب مثلا.[3] إذ به نعرف نسق المعاني ونحدد أجزاءها وبه أيضا نربط بين معناها، ولولا هذا النظام من العلاقات الشكلية والمعنوية التي تنظم النص لما كان ما نتفوه به كلاما يعرب عن المعنى

[1] – عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ص 20 .

[2] – ينظر : عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ص (20 ، 21) .

[3] - فطومة لحمادي ، السياق والنص ، (استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي) ، ص 13

والسياق اللغوي عامة عبر علاقاته التركيبية هذه يحقق فائدة في النص أو الأسلوب فهو يريك المحذوف مذكورا ، والمضمر مظهرا والمجمل مبنيا، والعام خاصا، والخاص عاما، والمتشابه محكما وما اختلط أمره اتضح، وما تعددت أوجهه انحسرت على وجه واحد[1]

4 – السياق المعجمي :

وهو مجموع العلاقات الصوتية التي تتضافر من أجل تخصص الوحدة اللغوية ببيان دلالي معين يمنحها القدرة على التركيب وفق أنظمة معينة هذه الوحدة تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى لإنتاج المعنى السياقي العام التركيبي، فاجتماع معاني المفردات وعلاقتها مع بعضها البعض داخل السياق هو الذي يساعد على إنتاج المعنى العام لأي تركيب.[2]

إن الألفاظ بوضعها الإفرادي المعجمي أو بعدها مجموعة من الأصوات المنظمة وفق قانون اللغة تحمل في ذاتها عدد من المعاني نختار منها ما يناسب الموضوع الذي نتكلم عنه، فالمتكلم لديه مجموعة من الاحتمالات وهو يختار من هذه الاحتمالات الأكثر ملاءمة لما يريد قوله[3]

والألفاظ في معانيها لا تكون على درجة واحدة في الاستعمال، فهي تحوي ضمن قائمة الاحتمالات الممكنة لها ما هو متداول بكثرة وما هو أقل دورانا في حياتنا اليومية وما هو قليل الاستعمال أو نادر فمعاني الألفاظ تتراوح بين ما هو معروف ومشهور وما هو أقل استعمالا وشهرة وتداولا بين الناس.

ثانيا : السياق الثقافي :

وهي القيم الثقافية و الاجتماعية التي تحيط بالكلمة ، إذ تأخذ ضمنه دلالة معيته ، وقد أشار علماء اللغة إلى ضرورة وجود هذه المرجعية الثقافية عند أهل اللغة الواحدة لكي يتم التواصل والإبلاغ

---

[1] – عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ص (22 ، 23)

[2] – فطومة لحمادي ، السياق والنص ، (استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي) ، ص (13 ، 14)

[3] – ينظر : عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ص 21

وتخضع القيم الثقافية للطابع الخصوصي الذي يلون كل نظام لغوي بسمة ثقافية معينة، وهو ما يكون أحد العوائق الموضوعية في تعلم اللغات .

فالسياق الثقافي يعني إذن بتحديد المحيط الثقافي الذي نشأ فيه النص ، فكل عصر له ثقافته – الاجتماعية والسياسية والدينية – التي تميزه عن غيره من العصور، واللغة بوصفها انعكاسا لهذه الثقافة أو تلك تحوي هي الأخرى خصوصيتها، فبعض الكلمات أو العبارات قد تحمل مدلولات سياسية أو دينية أو اقتصادية أو اجتماعية تتغير من عصر إلى آخر . فاللغة تأثرت بالمجتمع وأثرت فيه، فهي بدوية في المجتمع البدوي ، وهي في مثل هذا المجتمع تكون محمودة الألفاظ والتراكيب والخيال، وتفتقر إلى المرونة ولا تتسع لكثير من فنون التعبير وعلى عكس من هذا نجدها في المجتمعات المتقدمة، وعليه لا يمكن فهم اللغة وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعينين لأن فيها من الإنسان فكره وطرائقه الذهنية ، وفيها من العالم الخارجي تنوعه وألوانه.[1]

يحدد السياق الثقافي الدلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم استخداما عاما ، فاستعمال كلمة الصرف لدى دارسي العربية وطلابها يعني مباشرة أن المقصود هو العلم الذي تعرف به أحوال الكلمة العربية من اشتقاق وتغيير وزيادة ونحو ذلك، في حين أن دارسي الهندسة وطلابها يحددون دلالة الصرف عندهم بأنها مصطلح علمي يشير إلى عمليات التخلص من المياه بأي وسيلة لذلك تراه يرتبط عندهم بمصطلح آخر هو الري وهكذا يتحدث هؤلاء عن الري والصرف دون أن يشعروا بأي التباس أمام استخدام دراسي العربية الذين يتحدثون عن النحو والصرف، أما إذا استعملت كلمة الصرف في قطاع المال والتجارة، ... أو تحويل العملة في فئة إلى فئة ومن ثم ، فإن دراسة أي لغة بمعزل عن المحيط الثقافي الذي نشأت فيه هي دراسة فاشلة بحسب تعبير (مالينوفسكي)[2]، ولا يمكننا أن نصل إلى نتائج حقيقية خلالها إذا فصلنا اللغة عن المجتمع الذي يتحدث ويتواصل بها ،

---

[1] – ينظر : عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ص (26 ، 27) .

[2] – أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ط 2 ، دار الفكر ، لبنان ، 1999 ، ص 359.

ومن جانب آخر لها دور في الكشف عن طبيعة بعض المجتمعات وخصائها لا سيما التي ابتعد التاريخ بها فلم يصلنا منها إلا نتاجها الفكري أو اللغوي .

فاللغة إذن هي ظاهرة اجتماعية وهي وسيلة وأداة تعبير يستعملها المجتمع لتحقيق أغراضهم وحاجياتهم ومقاصدهم وتدون لنا تاريخ الحضارات والأمم السابقة واتجاهاتهم الفكرية والعقائدية والثقافية والعلمية والفنية والاقتصادية وغيرها.[1]

ثالثا : السياق العاطفي :

هو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالتها العاطفية، كما يحدد أيضا درجات الانفعال حسب القوة والضعف مما يتطلب قرائن بيانية تؤكد عمق أو سطحية هذا اللون من الانفعال ، فمثلا عند التعبير عن أمر فيه غضب وشدة انفعال فإننا ننتقي الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية أو المعبرة، إلى درجة أن المتكلم نفسه قد لا يقصد استعمال هذه الكلمات مثل : القتل ، الذبح ... أو غير ذلك .[2]

رابعا : سياق الموقف أو المقام :

سياق الموقف هو البيئة غير اللغوية (Non Linguistic Envitonment) التي تحيط بالخطاب وتبين معناه، وتتمثل هذه البيئة زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحادثين والقيم المشتركة بينهما والكلام السابق للمحادثة وهو يعني أيضا الجو الخارجي الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات .[3]

كما يدل على العلاقات الزمنية والمكانية التي تجري فيها الكلام أو هو على حد تعبير عبد القادر عبد الجليل : « مجموعة الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي ابتداء من المرسل والوسط وحتى المرسل

---

[1] – عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ص 27.

[2] – فطومة لحمادي ، السياق والنص (استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي) ، ص 14 .

[3] – عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ص 25 .

إليه بمواصفاتهم وتفصيلاتهم المتناهية في الصغر، فمن أجل فهم نص ما يجب معرفه كل القرائن والظروف التي تحيط به، باعتبارها تساعد بشكل كبير في إزالة اللبس والغموض عن النص .

إذ ما يؤديه السياق للمعنى من تحديد ومناسبه ظرفية يتطلب من الباحث الإلهام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري الكلام فيها ، ولذلك يمهد عادة للآثار الأدبية بدراسة للبيئة الزمانية والمكانية والملابسات الشخصية لما لها من أهمية في معرفة المعنى المقصود من تلك الأثناء.[1]

ثالثا : السياق في التراث العربي والغربي :

1 / السياق عند العرب :

يعد مفهوم السباق من المفاهيم التي أسالت الكثير من الجر في الفكر العربي ، فالسياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية وبيئته لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر التي يقدمها النص للقارئ .[2]

حيث أدرك الدرس اللغوي العربي أهمية السياق لا سيما السياق اللغوي في تحديد الدلالة من خلال بيانه أهمية كل من الأصوات والمفردات والتراكيب التي تكون الجمل والأساليب في بيان المعنى ، إلا أن الأمر الأهم في الدرس اللساني العربي هو اهتمامهم بالظواهر التركيبية التي تعمل على تفسير المعنى ، لأن " أول شيء تصادفه الكلمة في التركيب –بحسب تعبيرهم – نظام النحو الذي يهيئ الأجواء لإقامة علاقة طبيعية بينها وبين العناصر الأخرى ، وهي خارج التركيب قابلة للارتباط بعلاقات متعددة مع كلمات متعددة ، وفي داخله مقيدة بإرادة النحو الذي يستفد إليه وظيفة ترتبط من خلالها بعلاقة محددة ، حيث نجد أن العرب قد اهتموا بما سمي ب (سياق الموقف) وإن لم يعرفوه

---

[1] – فطومة لحمادي ، السياق والنص ، (إستقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي) ، ص (15 ، 16) .

[2] – عبد الربودرع ، أثر السياق في فهم النص القرآني ، مجلة الأحياء ، العدد 25 ، فصلية تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء ، 2007 ، ص 73 .

بمفهومه الذي شاع وانتشر في منتصف القرن الماضي على يد اللغوي جون فيرث (J.R.Firt) فلم يضعوا لنا حدا له ، واكتفوا ببعض المقولات التي تصلح أن تكون مقدمات لجوانب مختلفة من هذه النظرية فضل عن اهتمامهم بالجانب التطبيقي له ،فقد درسوا تلك العناصر المكونة لسياق الموقف من جوانبها المختلفة، ودورها في توجيه الدلالة، ويمكننا أن نقسم تلك النظريات التطبيقية عند علمائنا على النحو الآتي:[1]

1 – السياق عند اللغويين:

يظهر اهتمام اللغويين بالسياق نظرا لأهميته في الوصول إلى كشف المعاني الغامضة والمبهمة من التركيب ، ولم يقتصروا إهتمامهم على العناصر اللغوية فقط ، بل إعتمدوا على المقال وحال المخاطب فقد أدرك اللغويين تمام الإدراك أن عناصر الخطاب متكاملة لتبدي عنصر الإبلاغ فيه كملحظأساس في قبول الجمل أو عدم قبولها ، فتصبح فائدة المخاطب في صياغة الجملة أو العبارة .[2]

وتنبهوا أيضا إلى أهمية دراسة النص في سياقة الذي قيل فيه ، فمثير من النصوص لا تعطي المعنى المقصود إلا بالرجوع إلى مواقفها التي قيلت فيها ، وهذا دعاهم إلى البحث في أصناف تحقيق الدلالة ، وهي عند الجاحظ خمسة : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصيه : والنصية هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالت كما أن كلمة السياق قد تطور مدلولها من الدلالة على مجرد فعل السوق إلى الدلالة على كيفية هذا السوق وظروفه ، وما يصاحبه وما يجري عليه أسلوبه وهو المعنى التي تدل عليه كلمة السياق ، أي إنها أطلقت في البداية على سوق الأشياء المادية المحسوسة كالإبل وغيرها ثم تطور مدلولها بعد ذلك لتطلق على الكلام ويقصد بها إذ أطلقت على الكلام خاصة ، الإيراد والتأدية والسرد والمجرى والأسلوب

---

[1] – ينظر : عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ص (43 ، 44) .

[2] – خلود الهوش ، الخطاب القرآني لدراسة العلاقة بين النص والسياق ، ص 43 .

ذلك أن الدلالة الظاهرة للفظ قد تكون عين الدلالة التي أرادها المتكلم أن تفهم من كلامه ومن هنا وجدنا قسم كبير من أعمال اللغويين قديما أنصب على التنبيه إلى هذه القضية وأن دلالة الكلام ليست بالضرورة ما يدل عليه ظاهر لفظه .[1]

فاللفظ ليس وحده الذي يؤدي الدلالة عند اللغويين وإنما ثمة عناصر أخرى تعمل جنبا إلى جنب مع الألفاظ وليست تابعة لها وهذه العناصر التي تحدث عنها الجاحظ والرماني ، يتحدث عنها اليوم علماء اللغة الغربيون بعدها عناصر مكونة لسياق الموقف[2]

ويظهر من خلال الوسائل السابقة أن السياق عنصر مهم من عناصر تحديد المعنى عند المعجميين والذي يتصفح بعض المعاجم " لا يوجد شروح للألفاظ وتبانيا لمعانيها إلا من خلال الأمثلة السياقية من القرآن أو الحديث أو الأمثال والأشعار وعلى هذا نقول أن المعاجم نفسها لاتقوم إلا على شواهد تبين معنى اللفظ من السياق [3]

2 – السياق عند النحوييين :

تجلي أهتمام النحاة بالسياق في العديد من المناسبات حيث إحتل " سياق الحال " أهمية خاصة لديهم ، ويوضع ذلك إرتباط نشأة النحو العربي بالإستعمال الحي للغة ، فمعظم الروايات التي وردت في ذلك تبني أن سوء ربط الإنتاج الكلامي والحال المعبر عنها هو الدافع الذي أدى بأبي الأسود الدولي (ت 69 هـ) إلى وضع العلم الذي بين كيفيات إستعمال الكلام والتفت بعده النحاة إلى السياق اللغوي في دراستهم النحوية ، إدراكا منهم بأهميته للوصول إلى الوظيفة المرادة في التركيب

---

[1] – ينظر ، مسعود بودوخة ، السياق والدلالة ، ص 77 .

[2] – عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ص 58 .

[3] – محمد نور الدين المنجد ، الإشتراك اللفظي في القرآن بين النظرية والتطبيق ، ط1 ، دمشق ، دار الفكر ، 1999م ، ص 40 .

اللغوي والذي لا يتوقف عند حدود العناصر اللغوية بل يعتمد أيا على المقام المحيط بالجملة وحال المتكلم والمخاطب وطبيعة الموضوع .[1]

والدراسة في مرحلة التأسيس لم تكن ذات أهمية وأن وجد هناك حديث عن المعنى فإنها هو عن معنى الأبواب لبنحوية كالفاعل ونائبه والمفعول ، والحال ، والتمييز ، والبدل ، والمبتدأ ... إلخ

وهذه المعاني تحرسها قرائن صوتيه كالعلامة الإعرابية ونغمو الكلام أو صرفيه ، كالبنية الصرفية والمطابقة والرابطة ، والأداة أو التركيبية تكشف عنها ، القرائن ، أو بعبارة أخرى معان وظايفة للقرائن المستمدة من الأصوات والصرف والمماثلة في التركيب والسياق [2]

وهذه التراكيب التي لها صلة بالسياق تعددت « في لغتنا وتباينت فيما بينها تبعا لطبيعة ذاك التراصف وملابسات السياق ، مما إستدعي ظهور أنماط تركيبية يقبل بعضها ، ويرفض بعضها الآخر وقد تكفل سيبويه بعضا منها بإعطاء أمثلة كلامية ، قوامها الكلم العربي »[3]

فقد أولى سيبويه (ت 180 هـ) كلا من (السياق اللغوي) و (سياق الحال) إهتماما كبيرا لماله من أثر في مباني التراكيب ، من حيث الذكر والحذف ، أو التقديم والتأخير أو التوجيه النحوي والحكم بصحة التركيب ، ويتضح ذلك من إستعانته " بالسياق اللغوي " بكثرة في بيان أحد العناصر المحذوفة في التركيب ، فمن ذلك الإستغناء ، عن تكرار (كل) في قول الشاعر :

أكلُّ أمرء تحسبين أمرأ ونار توقدُ بالليل نارا .

ولقلّة إلتباسه على المخاطب . [4]

---

[1] – نادية رمضان النجار ، اللغة وإنظمتها بين القدماء والمحدثين ، (د.ط) ، مصر ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، 2004 ، ص 205 .

[2] – تمام حسان ، الأصول ، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، ط1 ، مصر ، عالم الكتب ، 2000 ، ص 219 .

[3] – خديجة الصافي ، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في البيان ، ط1 ، مصر ، دار السلام ، 2009 ، ص 103 .

[4] – سيبويه ، أبي بشر بن عثمان بن قنبر، الكتاب ، ط3 ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مصر ، الناشر مكتبة الخانجي ، 198، ج1 ،ص 66.

ويقول سيبويه عن قولك : (ضرب عبد الله زيدا ، « فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول ، وذلك قولك : ضرب زيدا عبد الله ، لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما ولم نرد أن تشغل الفعل بأول منه ، وإن كان مؤخرا في اللفظ فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما ، وهو عربي جيد كثير كأنهم إنما يقدمون بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جمعيا يهمانهم ويعنيانهم »[1]

فسيبويه لم ينظر إلى اللغة على أنها قوالب جامدة نتعلمها بالحفظ أو التكرار و إنما نظر إليها على أنها جزء من السلوك الإجتماعي المتغير بتغير الظروف المحيطة به ، ولذا فقد ركز تركيزا واضحا في كتابه على اللغة المعلومة لا المكتوبة وهذا واضح من أمثلة في الكتاب إذ يرى أن قولك :
(مررت برجل حمار) يقول في هذه الجملة : فهو وجه محال ، وعلى وجه حسن ، فأما المحال فأن تعني أن الرجل حمار . وأما الذي يحسن فهو أن تقول : مررت برجل ثم تبدل الحمار مكان الرجل فتقول : حمار وإما أن تكون غلطت أو نسيت فإستدركت و إما أن يبدو لك أن تضرب عن مرورك بالرجل وتجعل مكانه مرورك بالحمار فغلطت أو نسيت فقلت برجل ثم إستدركت بعد ذلك وهذا كما هو واضح لا يحدث في اللغة المكتوبة لأنك لا تثبت ما أخطأت فيه .[2]

وهكذا تنبه سيبويه إلى أثر المتغيرات الخارجية في ترتيب عناصر الجملة ، وكأنه يرسم بذلك لابناء الجائزة المناسبة عند إستعمال اللغة ، ويمثل كتابه مظهرا من مظاهر إهتمام النحويين بالسياق لبيان مجرى الكلام ، فاللغة عند سيبويه لم تكتنف عن ملابسات إستعمالها ومقياس اللغة عنده يستمد من معطيات النظام الداخلي للبناء اللغوي ، كما يستمد من معطيات السياق الإجتماعي الذي يكتنف

---

[1] –المرجع السابق، ص 34 .

[2] – ينظر ، عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ص (50 ، 51) .

الإستعمال اللغوي.[1] ومنه ويظهر أن سيبويه ربط معنى الجملة وجوابه وإستقامته بالسياق الذي وردت فيه .

وما ذهب إليه عبده الراجحي هو رأي وجيه إذ لا يمكن نفي جانب المعنى عن النحو بحال ، وحتى لو إفترضنا جدلا أن النحو العربي قد تنشأ في البداية إثر حادثة معينة أبرزت خطورة اللحن في قراءة القرآن ، فإن النحاة رأوا فيه بعد ذلك وسيلة فعالة في ضبط الفهم وسلامة المعنى ، ومن هنا يمكن القول إن عمل النحاة إرتبط بالدلالة منذ البداية وماكان لينفصل عنها . ولذلك رأينا كثيرا من النحاة يقولون على المعنى أكثر من تعويلهم على غيره ولو كان المعنى يخالف ضاهر اللفظ ، وقد يخالف أحيانا بعض القوالب التي وضعها النحاة أنفسهم وهنا كانوا يستهدون السياق لإستيضاح المعنى . يقول : « ... وصناعة النحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة للمعاني وقد تكون مخالفة لها إذا فهم السامع المراد وسمع غرض المتكلم أي إن التعويل في هذا على المعارف المشتركة بين المتكلم والمخاطب وهو ما عرف لدى القدماء بالقرائن الحالية التي لا تفهم من المقال أو الظروف المحيطة بالمقال وتسمي سياق الحال في الدراسات اللسانية الحديثة ، وهي تقف جنبا إلى جنب في النحو العربي مع القرائن المقالية في تعيين المعنى الوظيفي النحوي . وحال المخاطبينأنفسهم ... إلى غير ذلك ، كما أن السامع نفسه يعلم مما يرى من الحال ما أضمره المتكلم [2]

فمن الواضح أن أئمة النحو واللغة قد تنبهوا إلى دور السياق في فهم النص [3]

ويتبع عندهم إستعمال المصطلحات للدلالة على السياق منها : (بدليل لفظي أو معنوي ، أو قرينة السياق أو القرينة اللفظية أو المعنوية)[4]

---

[1] – نهاد موسى ، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظير اللغوي الحديث ، ط1 ، لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات والتشر ، 198 ، ص 93.

[2] – ينظر مسعود بودوخة ، السياق والدلالة ، ص (88 – 89) .

[3] – صاحب أبو جناح ، دراسات في نظرية النحو العربي و تطبيقاتها، ط1 ، الأردن ، دار الفكر للطباعة والنشر ، 1998م ، ص 273 .

[4] – مسعود بودوخة ، السياق والدلالة ، ص 44 .

لقد كان إذن للغويين والنحويين العرب أثر بارز في إرساء أسس النظرية السياقية ، فمن يقرأ كتب النحاة بعناية يجد فيها إلتفاتات سياقية مهمة إذ كانوا يحللون التراكيب اللغوية مراعين في ذلك الجمل السابقة واللاحقة ، وأثرها في الكشف عن الوجه الإعرابي فضلا عن حال المتكلم والمخاطب والظروف الملابسة مما يساعدهم في التحليل الدقيق للكلام [1]

3 – السياق عند البلاغيين :

أنصب إهتمام البلاغيين في دراستهم للسياق على فكرة (مقتضي الحال) فقد إهتم به علماء المعاني (الحال) في إصطلاحهم يعدل (مقتضي الحال) ، فقد أجمع البلاغيون على أن بلاغة الكلام مطابقة لمقتضي الحال الذي يورد فيه ، على أن بعض الباحثين يظطربون في التفريق بين مفهومي الحال والمقام ، فبينما يرى بعضهم أنهما متقاربان في المفهوم ، وأن التغاير بينهما أمر إعتباري يذهب آخرون إلى أنها أمر واحد ، وهو ما يدعوا المتكلم إلى إيراد خصوصية في التركيب ، أما مقتضي الحال فهو صورة خاصة ترد في الكلام زائده على أصل معناه قد إقتضاها الحال وإستدعاها المقام ، فالحال والمقام أمر واحد وهو ما يتصل بالموقف الكلامي من ظروف مختلفة توجهه وجهة معينة .

عناصر المقام : يمكن أن يحمل – من خلال ما سبق – عناصر المقام في ثلاثة :

1 – المخاطَب

2 – المخاطِب

3 – الخطاب

---

[1] – على عبد الأمير شهيد ، أثر السياق في توجيه المعنى في كتاب معاني القرآن للفراء . رسالة جامعية ماجستير ، جامعة القادسية كلية الآداب العراق ، جواد كاضم عناد ، 2001 ، ص 14 .

فهذه العناصر الثلاثة تتحكم في موضوع الخطاب ودلالته ومدى مناسبته لأحوال المتكلم وإستجابة لحالته وحال المستمع [1]

حيث شكل مفهوم السياق في الأعمال البلاغية المحور الرئيسي الذي وجه الدراسات التي نشأت في ضل الإعجاز القرآني ، فتمحورت الدراسات السياقية بشكل خاص حول سياق الحال ، أو القرائن المقالية والمقامية [2]

فقد أولى رائد الدراسات البلاغية في كتاب الله عز وجل أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ) فتجسيد السياق عنده في دراسته للقرآن الكريم وذلك للوصول إلى المعاني القرآنية من سياق كتاب الله العزيز في كتابه الشهير مجاز القرآن في كل تقاليبه للآيات الكريمة حيث حص بدراسته في كتاب مجاز القرآن ،حروف الزيادة وكيفية ورودها في النص ومدى الفائدة التي تقدمها للمعنى من درج السياق.[3]

وأما صاحب نظرية النظمعبد القادر الجرجاني (ت 2441) فيعرف النظم ، بأنه تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض .

ويقول عنه أيضا :

أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت فعلا تخل بشيء منها .[4]

---

[1] – التهانوي ،كشاف إصطلاحات الفنون ،(د.ط) ، تح : على حروج ، لبنان ، مكتبة الناشر ، (د. ت) ، ج1، ص (616 ، 617) .

[2] – صلاح الدين زرال ، الظاهرة الدلالية ، ط1 ، لبنان ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2008م ، ص 435 .

[3] – أبو عبيدة معمر بن مثنى ، مجاز القرآن، (د.ط) ،تح : محمد فؤاد سزكين ، (د.ط) ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ج1 ، ص 19.

[4] – عبد القادر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 168 .

فإن فكرة النظم عند عبد القاهر مستندة أساسا على التفريق بين إستعمال اللغة بقصد الإشارة إلى الصورة البارزة للشيء والألفاظ التي تعبر عن حقيقة الشيء.[1] فيقارب مفهوما النظم والسياق .

فهنا يربط الجرجاني الكلام بمقام إستعماله ومراعاة مقتضي حاله وهو لب دراسة المعنى اللغوي عنده ، ومنبثق من نظريته للنظم .[2]

من ذلك معرفتنا أن المقصود من كثير الرماد : شخص مضياف ومن طويل النجاد ، طويل القامة ، ومن تؤوم الضحى أنها إمرأة مترفة مخدومة.[3]

فإن دور السياق في خلق المعاني واضح في عبارات الجرجاني ومصطلحاته .

فأما مقولتهم :" **لكل مقام مقال** " فهذه المقولة تحدد مدى أهمية مراعاة السياق أو المقام في بيان دلالة العلمية اللغوية وقد جاءت هذه الفكرة على لسان بشر من المعتمر (ت 210 هـ) فما رآه عن الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين " يقول : « ولكن في ثلاث منازل ، فإنا أولى الثلاثة أن يكون لفضك رشيقا عذبا وفخما سهلا ، ويكون معناك زاهر مكشوفا وقريبا ، وإما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، و إما عند العامة إن كنت للعامة أردت ، والمعنى ليس بشرف بأن يكون من معاني العامة إنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع مرافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال .[4]

ويقول التهانوي : « والحال في إصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه الخصوص أي التداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما هي المسماه

---

[1] – زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ،(د.ط)، لبنان ، دار النهضة العربية ، 1984م ، ص 28 .

[2] – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، (د.ط) ، تح : محمود محمد شاكر أبو فهر ، القاهرة ، مكتبة الخانجي مطبعة المدني ، (د.ت) ص (169 ، 170) .

[3] – المرجع نفسه ، ص 170 .

[4] – هادي نهر ، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ط1 ، الأردن ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، 2004م ، ص (277 ،278) .

بمقتضى الحال : مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها ... وعلى هذا النحو قولهم (علم المعاني) علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال ، وهذا هو المطابق بعبارات القوم ، حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك معللة بالأحوال .[1]

فمن الواضح أن أهل علم المعاني إهتموا بأحوال المتكلم والمستمع ، والتعريف يقتضي أن يكون المتكلم على علم أحوال السامع قبل أن يتكلم حتى يأتي بالكلام على صفة مخصوصة تتطابق مع حال المستمع .[2]

حيث يقول الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين " عن قرار البلاغيين أنه . " لا ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقةمن ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما حتي يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات ... "[3]

وقد ذهب إبن قتيبه إلى وجوب مراعاة مقتضى الحال حيث يرى أنه يجب على الكاتب أن يجعل الفاظه " على قدر الكاتب والمكتوب إليه وألا يعطي حسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس خسيس الكلام .[4]

وفي تعقب أبي هلال العسكري على كلام العتابي نفسه يقول: « وقال العتابي كل ما أفهمك حاجته فهو بليغ وإنما عني إني أفهمك حاجته بالألفاظ الحسنة والعبارة و النيرة فهو بليغ »

---

[1] – التهانوي ،كشاف إصطلاحات الفنون ، (د.ط) ، تح : علي حروج ، لبنان ، مكتبة الناشر ، (د.ت) ، ص (616 ،617) .

[2] – محمد سالم صالح ، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العرب ، ص 7 .

[3] – الجاحظ ، البيان والتبين ، ط2 ، تح : عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الجاحظ ، 1970 ، ج1 ، ص 136 .

[4] –ابن قتيبه ، أدب الكاتب ، ط1 ، تح : محمد الدالي ، لبنان ، مؤسسة الرسالة 1982 ، ص 18.

وبذلك يشير العسكري إلى الجانب الجمالي وأنه لا يمكن فصله عن جانب الدلالة في البلاغة العربية ، ومنه بداية الكتابة نجده يعرف البلاغة بأنها « كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنك في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن » ، فيجمع بين الجانب الدلالي والجانب الجمالي وذلك أن الكلام إن كانت عبارته رثة ومعرضه خلقا لم يسمي بليغا وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى.[1]

وظاهر ما يفهم من جملة العتابي في تعريف البلاغة . وقد حذر منه الجاحظ والعسكري – يبدو أن هناك من ناصره فأكتفي من البلاغة بجانب الدلالة والمعنى ، ولكن هذا الرأي ضعيف السند – رأي الجاحظ – لأن من زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة و الكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والمعرب كله سواء ، وهكذا إستقر مفهوم البلاغة بعد ذلك على أنها الإختيار الأمثل للمعطيات اللغوية من جانب المستعمل للغة ، بالنظر الإختيار الأمثل للمعطيات اللغوية من جانب المستعمل للغة ، بالنظر إلى الإمكانيات اللانهائية التي تتيحها اللغة في جميع مستوياتها الصوتي ، المعجمي ، الصرفي ، والتركيب .

وفكرة المقام كانت محور أعمال البلاغيين بعد ذلك ، فالعسكري يؤكد على مراعاة حال المخاطبين وظروف الخطاب ويستشهد على ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس كتب إليهم بما يمكن ترجمته ... فستعمل الألفاظ كما ترى غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية ، ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فخم اللفظ ، لما عرف من فضل قولهم على فهمه وعادتهم للسماع مثله .[2]

---

[1] – محمد أبو الفضل إبراهيم ، الصناعتين ، (د.ط) ، تح : محمد علي ، لبنان ، جاري المكتبة العصرية ، لبنان ، 1986 ، ص (10 – 11).

[2] – مسعود بو دوخة ، السياق والدلالة ، ص (102 ، 103) .

وهكذا يتضح هنايه البلاغيين بالسياق من عبارتهم المشهورة " لكل مقام مقال "[1]، وبعبارة أخرى " مراعاة مقتضى الحال " .[2]

يقول تمام حسان : « لقد كان علماء الأمة الإسلامية عند إعترافهم بفكرة السياق بشقيه المقالي والمقامي متقدمين بأكثر من ألف سنة عن زمانهم لأن الإعتراف بفكرتي المقام والمقال بإعتبارهما أساسين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرة العقل المعاصر في دراسة اللغة .[3]

وهذا دل على أن للبلاغيين أثر بارز في التنبيه على ما يمثله السياق في توجيه المعنى . وتقرير حقائق هذا الدور فقد كان لهم جهد في تتبع الوجوه والأغراض المختلفة للأساليب والتراكيبات اللغوية ، وما تؤول إليه من سياقات مختلفة .[4]

4 – السياق عند الأصوليين :

وقد إستعمل الأصوليين مصطلح السياق إستعمالا واضحا في دراستهم . وأرادوا به ما يدل عليه السياق أو الدلالة المستمدة من دلالة سياق الكلام ومقصوده ، فمنذ البدايات الأولى لتدوين علم الأصول وبناء أدواته ورسم مفاصله ومهامه على يد المؤسس الأول " محمد بن إدريس الشافعي (ت 206 هـ) فهو أول من أشار إليه في كتابه " الرسالة " وتطرق فيه إلى قضية مهمة ألا وهي سياق النص بإشارة إلى مفهومه في قوله : « وتبتدئ (أي العرب) من كلامها يبين أو لفظها فيه

---

[1] – كمال بشر ، علم اللغة الإجتماعي ، ط3 ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر ، 1997م ، ص 99 .

[2] – القزويني ، الإيضاح في علم اللغة ،(د.ط) شرح:محمد عبد المنعم خفاجي ، مصر ، المكتبة الأزهرية للتراث ، 1993 ، ج 1، ص 43.

[3] – تمام حسان ، اللغة العربية ، معناها و مبناها ، ط1 ، مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973 ، ص 337 .

[4] – صاحب أبو جناح ، دراسات في نظرية النحو العربي و تطبيقاتها، ص 224 .

عن آخره ، وتبدئ الشيء بين آخر لفظها منه عن أوله » وكان ذلك ما عنون به الشافعي – رحمه الله – بابا من أبواب رسالته الأصولية إذ قال " باب الصنف الذي بين سياقه معناه " .[1]

ولقد رأو الأصوليين أنه لا معنى من دون سياق ولا تأويل من دون إعتباره ، تلك إحدي خلاصات تعاطي الأصوليين مع خطاب الوحي وإحدى مسلماتهم التي قرروها نتيجة تفاعلهم معه قراءة وفهما وتأويلا ، وإهتموا كذلك بدراسة القرائن الحالية المتمثلة بأسباب النزول والمواقف الملابسة للنصوص الحديث الشريف . [2] على نحو ما أشار إليه الزركشي بقوله : " دلالة السياق أنكرها بعضهم ومن جهل شيئا أنكره ، وقال بعضهم أنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى ... والسياق يرشد إلى تبيين المجملات ، وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات ، وكل ذلك يعرف الإستعمال فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا بالوضع .[3]

أما ما ورد من نصوص صؤيحة في الحديث عن السياق فيكاد يتفق على أسلوب واحد في التعبير عن وظيفة السياق في بيان المجملات وترجيح المحتملات وتقريرا الواضحان نقل الإمام الزركشي عن الشيخ الدين عز الدين بن عبد السلام (ت 660 هـ) قوله " السياق يرشد إلى تبيين المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات ، وكل ذلك يعرف الإستعمال فكل صفة وقعت سياق الذم كانت ذما وإن كانت مدحا بالوضع ، كقوله تعالي :« ذق إنك أنت العزيز الكريم (4) » الدخان. [4]

وقد أكد الغزالي (ت 505 هـ) أن هناك ألفاظ لا تفهم إلا بإشارة الكلام ونحواه وهي خمسة أضرب منها ما دلالة إقتضاء ومنها ما دلالته دلالة إشارة أو نحوى الكلام أو دلالة سياق الكلام أو دلالة

---

[1] – محمد إدريس الشافعي ، الرسالة ، ط1 ، تح : أحمد محمد شاكر ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، (د.ت) ، ص 62 .

[2] – هادي تهر ، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، ص 274.

[3] – الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ط 1 ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار التراث ، (د.ت) مج: 4 ، ص 293 .

[4] – الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله ، البحر المحيط ، ط1 ، تح : محمد محمد نامر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2000م ، مج:3 ص 54 .

الخطاب أو المفهوم،[1] فإننا نجد الإهتمام بمفهوم السياق لدى الأصوليين وبرز دوره واضحا في تأويل الخطاب .

وقد حدد إبن قيم الجوزية (ت 751 هـ) بعض الوظائف التي يؤديها السياق في بيان الدلالة لكونه من أعظم القرائن الدالة على مراء المتكلم ومن هذه القرائن أن السياق يرشد إلى تبيين المحتمل ويخصص العام ويقيد المطلق وأنه يرشد إلى تنوع الدلالة .[2]

ويذكر إبن تيمية محددات المعنى أو العناصر التي تتحكم في إظهار المعنى فيقسمها على عناصر ظاهرة من النص نفسه وهذه تشمل دلالة الألفاظ المفردة ويقسمها على دلالات لفظية مركبة أي بما يكتنف الألفاظ من علاقات تركيبية وهناك عناصر غير لفظية تدل على المعنى ، وهي عنده ثلاثه محددات : حال المتكلم ، وحال المخاطب ، وحال المتكلم فيه ، ويظهر من تقسيمات الأصوليين للنصوص أن المعيار عندهم كان هو مدى وضوح الدلالة أو خفائها ، والطريقة التي تتم بها عملية تحصيلها، وكونها تفهم من ظاهر اللفظ أو من قرائن أخرى في السياق .[3]

فإن كلمة السياق ، نجدها مستعملة عند الأصوليين كثيرا، فيقولون : « سياق الكلام »

و« سياق النظم » و « اللفظ الواضح فيما سبق له » و« ما أوجبه نفس الكلام وسياقه » ... إلى غير ذلك الإستعمالات الأصوليين لكلمة السياق .[4]

---

[1] – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، المستصفي من علم الأصول ، ط1 ، تح : محمد بن سليمان الأشقر ، لبنان ، مؤسسة الرسالة ، 1997 ، ج2 ، ص (223 – 225) .

[2] – إبن القيم الجوزية ، بدائع االفوائد ، ط1 ، تح : هشام عبد العزيز عطا ، مكة المكرمة ، مكتبة نزار مصطفي الباز ، 1996 ، ص 815.

[3] – مسعود بودوخة ، السياق والدلالة ، ص 121 .

[4] – أبو قدامة أشرف بن محمود بن عقله الكنانة ، الأدلة الإستثنائية عند الأصوليين ، ط1، الأردن ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، 2005م ص 218 .

فهكذا جاء حديث الأصوليين عن السياق بكل جوانبه من منطلق البحث عن الدلالة أساس البحث الأصولي وصولا إلى الحكم الشرعي ، الذي تستقيم معه الحياة الإجتماعية ومن ثم فقد عرضوا لكلمة على مستوى اللفظ المفرد وعلى مستوى التركيب ، الذي هو أساس السياق اللغوي آخذين في الإعتبار كثيرا من الجوانب التي تستبين معها الدلالة . كالعموم والخصوص ، والحقيقة والمجاز والمناسبات ، وقصد الشارع وإجتماعية اللغة ، فجمعوا بذلك جل عناصر النظرية السياقية التي ينادي بها المحدثون .[1] وقد أكد هذا الطاهر بن حمودة بقوله : " يبدو واضعا في الدرس الأصولي بعامة إدراكهم للسياق بشقيه اللغوي والإجتماعي ، وإعتمادهم عليه في فهم الإستنباط وتصورهم الدقيق لعناصرهالمختلفة التي تشمل الموقف الكلامي بأسره ، وهم في ذلك يتفقون – في الجوهر – مع نظرية السياق الحديثة، بل إن فريقا من الأصوليين يكادون يشبهون السياقيين المحدثين .[2]

ويبدأون الأصوليين من هذه الجهة التداولية قد إستأثروا بالبحث فيما فرط فيه كثير من النحاة وذلك من جراء فهمهم لطرق تأليف الكلام وأوجه إستعمالانه وإدراك مقاصده و إعراضه وما يطرأ عليه من تغيير ليؤدي معاني متعددة ومن ذلك بحثهم في ظاهرة الأفعال الكلامية (فمن نظرية الخبر والإنشاء وكمراعاة قصد المتكلم وعرضه وكمراعاة السياق اللغوي والغير لغوي وتحكيمه في الدلالات بل إن البحث الأصولي قد يفضل في بعض جوانبه ما قدمه علم المعاني .[3]

ومن خلال ما قمنا بعرضه عن السياق في التراث العربي لاحظنا أن الحقل المعرفي في الدراسات العربية لم يخلوا من التعريض للسياق من زاوية من الزوايا من علوم اللغة والنحو والبلاغة وأصول الفقه .[4]

---

[1] – غبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ، ط1 ، مصر ، دار الوفاء ، 2007م ، ص 257 .

[2] – طاهر سليمان حمودة ، دراسة المعنى عند الأصوليين ، ط1 ، مصر ، دار الجميل للنشر والتوزيع ، 2001 ، ص 233 .

[3] – مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب ، ص 132 .

[4] – عيد بلبع ، السياق وتوجيه دلالة النص ، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية ، ط1 ، (د.ب) ، دار بلنسية للنشر والتوزيع ، 2008 ، ص 126 .

2 / السياق عند الغرب :

يمثل السياق في النظريات اللسانية الحديثة مجموعة من العلماء الغربيين نذكر منهم جهود :

1– فرديناند دوسوسير (F – de saussure) : فقد أشار إلى مفهوم السياق اللغوي بأن الكلمة :« لا تكسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معا ... »[1] ، وعرف السياق بعد هذه الإشارة من دوسوسير تطور ا في الدراسات الغربية ولاسيما في مدرسة لندن التي اشتهرت بما يسمي (المنهج السياقي ، أو ما يسمى المنهج العلمي) .

2 – ليونارد بلومفيلد (leonard blomfield): أحد منظري " النظرية السلوكية " : التي تقف على ما يستلزمه استعمال اللغة في الاتصال ، وتعطي اهتمامها للجانب الممكن ملاحظته علانية ، ومن أهم ما قدمه بلومفيلد لهذه المدرسة تعريفه (معنى الصيغة اللغوية) ، بأنه الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من السامع ، فعن طريق نطق صيغة لغوية يحث المتكلم سامعه على الاستجابة لموقف ، هذا الموقف وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة[2]

3 – فيرث (J.R.Firt):" أحد أعلام مدرسة لندن " : والتي عرفت بما يسمى (المنهج السياقي) ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية « هو استعمالها في اللغة » ، أو « الطريقة التي تستعمل بها »، أو « الدور الذي تؤديه » ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة.[3]

---

[1] – فرديناند دي سوسير ، دروس في اللسانيات العامة ، (د.ط) ، تح : يوسف غازي ، مجيد نصر ، الجزائر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، 1986 ص 149 .

[2] – أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، (د.ط) ، مصر ، عالم الكتب ، (د.ت) ، ص 68 .

[3] – لمى محمود ، سمير معلوف ، النظرية السياقية (وظلالها التطبيقية عند اللغويين والبلاغيين العرب) ، مجلة جامعة البحث ، العدد 21 ، المجلد 39 2017 ، ص 5.

وقد قسم (فيرث) السياق إلى : (سياق لغوي) و (سياق الموقف) وتحدث عن عناصر سياق الموقف ، فرأى أنها جزء من أدوات عالم اللغة ولهذا اقترح الاعتناء بالأشياء الآتية :

أ – السمات المهمة للمشاركين، وما يقدمونه من تأثير لفظي وغير لفظي .

ب – الأشياء ذات العلاقة بالموضوع .[1]

4 – ستيفن أولمان (Stephen ullman) : " نظرية السياق " :

إذا كان الفضل يرجع إلى مدرسة فيرث محاولتها تأطير السياق ، ضمن نظرية دلالية متكاملة الجوانب، فإن الفضل يعود ل (ستيفن أولمان) ، في أنه سعى إلى استعمال هذه النظرية في حقل الكشف عن المعنى فإن « نظرية السياق – إذا طبقت بحكمة – تمثل حجر الأساس في علم المعنى »

وما قدم له (ستيفن أولمان) من مقدمات نظرية أدى به إلى نتائج باهرة، فالتطبيق الحكيم لنظرية السياق يؤدي بنا إلى تحديد معاني الكلمات ف « كل كلماتنا تقريبا تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء أكان هذا السياق لفظيا أم غير لفظي »

ولم يقف (أولمان) : عند هذا الحد بل سعى إلى توسيع مفهوم السياق : بحديثه عن كلا السياقين:

أ – (سياق النص) : بقوله : « إن السياق ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية – اللفظ المعنيّ – فحسب – بل والقطعة كلها والكتاب كله »

ب – (سياق الموقف) : حيث يقول : « السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف أو أنها قصد بها – أساسا – التعبير عن العواطف والانفعالات وإلى إثارة هذه العواطف وانفعالات .

---

[1] – المرجع السابق ، ص (5 ، 6) .

ج – يوهان جاكوب بالمر (Johann jakob balmer): ومن أهم ما قدمه، في دراسته للغة حديثه عن العلاقات الترابطية والتضمين والترادف وتعدد المعنى والتجانس ... وغيرها من الظواهر التي تعتري المفردات في سياقها اللغوي إضافة إلى عنايته بالقواعد الشكلية والعلاقات القواعدية وغيرها من الأسس التي تعني بالنظام النحوي والدلالي لجمل السياق اللغوي ، إضافة إلى حديثه عن (سياق الحال) : والذي قصد به معنى الكلمة ضمن السياق اللغوي الذي تستخدم فيه .[1]

5 – نعوم تشومسكي (Noam shomsky) : صاحب نظرية النحو التوليدي :

التي تعد من أشهر النظريات اللغوية ، وقد استطاعت نظريته (أن تقدم تفسيرات علمية لظواهر لغوية تخص الدلالة ، وتستند هذه النظرية على آلية توليد جمل صحيحة اعتمادا على كفاية المتكلم (الكاتب) اللغوي ويعني ذلك توفر قواعد تنظيمية ذهنية في عقل المتكلم اللغة تتيح له ما شاء من جمل ضمن سياق معين، وقد انطلق (تشومسكي) للتدليل على وجود هذه الكفاية ، من تعلم اللغة عند الطفال، بحيث أن الطفل ينتج جملا لم يسبق له أن سمعها من قبل بناء على القواعد الكائنة ضمن كفايته اللغوية »[2]

---

[1] – ينظر : لمى محمود ، سمير معلوف ، النظرية السياقية وظلالها التطبيقية عند اللغويين والبلاغيين العرب ، ص (6 ، 7) .

[2] – منقور عبد الجليل ، علم الدلالة ، (أصوله ومباحثه في التراث العربي) ، (د.ط) ، لبنان ، إتحاد الكتاب العرب ، 2001 ، ص 95 .

المبحث الثاني : مفهوم السياق التداولي

أولا : تعريف السياق التداولي

ثانيا : أقطاب العملية التواصلية

ثالثا : الإستراتيجيات التخاطبية

أولا : تعريف السياق التداولي :

إننا لا ندرس الملفوظات اللغوية، وبالتالي النصوص، من حيث بناها فحسب، وإنما أيضا من حيث وظائفها، لأننا لا نريد أن نعرف فقط « الأشكال و "المضامين" » والتي يمكن أن يتخذها نص ما، ولكن الوظائف الممكنة التي قد يؤديها بفضل الشكل والمضمون، ويقوم السياق التداولي على تأويل النص كفعل كلامي، أو كسلسلة أفعال كلامية، فالوعود والتهديدات والتأكيدات والأسئلة والأوامر ... هي أمثلة على الأفعال الكلامية، ونقوم بفعل كلامي معين حين ننطق بجملة أو عدة جمل في سياق ملائم لها، ومهمة التداولية هي أن تحدد الشروط التي يجب أن تتوفر في كل فعل كلامي حتى يكون ملائما لسياق معن ، كالتي يجب أن تتمتع بها الملفوظات [1]

كما يتكون السياق التداولي من كل العوامل النفسية والاجتماعية والتي تحدد بدقة مناسبة أفعال اللسان كالمعرفة أو الرغبات أو الإرادة ... بالإضافة إلى تحديد الشروط التي يجب أن تتوفر في جملة ما يبحث السياق التداولي أيضا عن الطريقة التي يتم من خلالها ربط هذه الجملة بجملة أخرى في النص [2]

والمهم في التداولية النصية أن نحدد الشروط التي يمكن من ترتيب أفعال كلامية في متتاليات أفعال كلامية، وفوق ذلك علينا أن نتساءل حول كيفية ارتباط هذه المتتاليات بمتتاليات جمل أو ملفوظات النص المنطوق ومثل ما كان من الضروري أن نعتمد بنى تداولية كبرى لنتمكن من تأويل المضمون الإجمالي لنص ، فمن الضروري هنا الاعتماد على بنى تداولية كبرى ، لنتمكن من الكلام على الوظيفة الإجمالية للنص [3]

---

[1] – على آيت أوشان ، السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة) ، ط1 ، الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الجديدة ، 2000 ، ص 82.

[2] – فطومة لحمادي ، السياق والنص ، ص 10 .

[3] – علي آيت أوشان ، السياق والنص الشّعري (من البنية إلى القراءة) ، ص 83 .

ثانيا : أقطاب العملية التواصلية :

يقتضي السياق « عناصر مختلفة أولا : عنصر ذاتي الذي يعبر عن معتقدات المتكلم فكل متكلم له معتقدات وأيضا مقاصد المتكلم فهو حين يتكلم يقصد شيئا، وكذلك اهتماماته ، فقد تكون له أهداف فينبغي أن تدخل هذه الأهداف أيضا في تحديد الظاهرة اللغوية، ثم ينبغي أيضا أن نراعي في هذا العصر رغبات المتكلم ، فإذن هناك الاهتمامات والرغبات والمقاصد والمعتقدات كلها تدخل كعنصر ذاتي لتحديد السياق؛ ثم العنصر الثاني و اسمه عنصرا موضوعيا فهو الوقائع الخارجية التي تم فيها القول يعني الظروف الزمانية والمكانية، يعني أن هذه العوامل أيضا تدخل في تحديد السياق؛ ثم العنصر الذواتي يعني ما بين ذوات المتخاطبين و أقصد به المعرفة المشتركة بين المتخاطبين [...] فهذه المعرفة المشتركة هي معرفة معقدة التركيب »[1]

يذهب " بروان ويول "كإطار عام ، إلى أن محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب (والسياق لديهما يتشكل من المتكلم / الكاتب، والمستمع / القارئ ، والزمان والمكان) ، لأنه يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب، بل كثيرا ما يؤدي ظهور واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين [2]

وفي هذا الصدد يري (هايمز) أن للسياق دورا مزدوجا إذ يحصر مجال التأويلات الممكنة ويدعم التأويل المقصود ويصنف (هايمز) خصائص السياق في :

– **المرسل** : وهو المتكلم والكاتب الذي ينتج القول .

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ط1 ، بيروت ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت 2004 ، ص (44 ، 45) .

[2] – محمد خطابي ، لسانيات النص (مدخل إلى إنسجام الخطاب) ، ط1 ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، 1991 ، ص 52 .

– **المتلقي** : وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول .

– **الحضور** : وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي .

– **الموضوع** : وهو مدار الحدث .

– **المقام** : وهو زمان ومكان الحدث التواصلي، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين متفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات والتعبيرات .

– **القناة** : كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي : الكلام ، الكتابة ، إشارة .

– **النظام** : اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل .

– **شكل الرسالة** : ما هو شكل الرسالة المقصود : دردشة ، خرافة ، ...

– **المفتاح** : ويتضمن التقويم ، هل كانت الرسالة موعظة ، شرحا مثيرة للعواطف .[1]

– **العرض** : أي ما قصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي .[2]

نذكر بأن العناصر الأساسية التي تشكل سياق خطاب / نص ما هي : المتكلم ، والمخاطب ، والمشاركون ، والموضوع ، والقناة والمقام ، والسن ، وجنس الرسالة ، والحدث ، والمقصد ، تلك هي العناصر السياقية حسب تصنيف **هايمس** لكن ليس من الضروري الاحتفاظ بكل هذه العناصر ومن ثم – حسب **براون ويول** – يمكن الاكتفاء بما يلي : **المتكلم** ، **المخاطب** ، **الرسالة** ، **والزمان** ،

---

[1] – على آيت أوشان ، السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة) ، ص 97 .

[2] – محمد خطابي ، لسانيات النص (مدخل إلى إنسجام الخطاب) ، ص 53 .

والمكان ، ونوع الرسالة ، ففي رأي براون ويول كلما توفر المتلقي على معلومات عن هذه المكونات تكون أمامه حظوظ قوية لفهم الرسالة وتأويلها. [1]

ويمكننا التمثيل للتفاعل الموجود بين هذه العناصر التي تكون السياق بالشكل التالي :

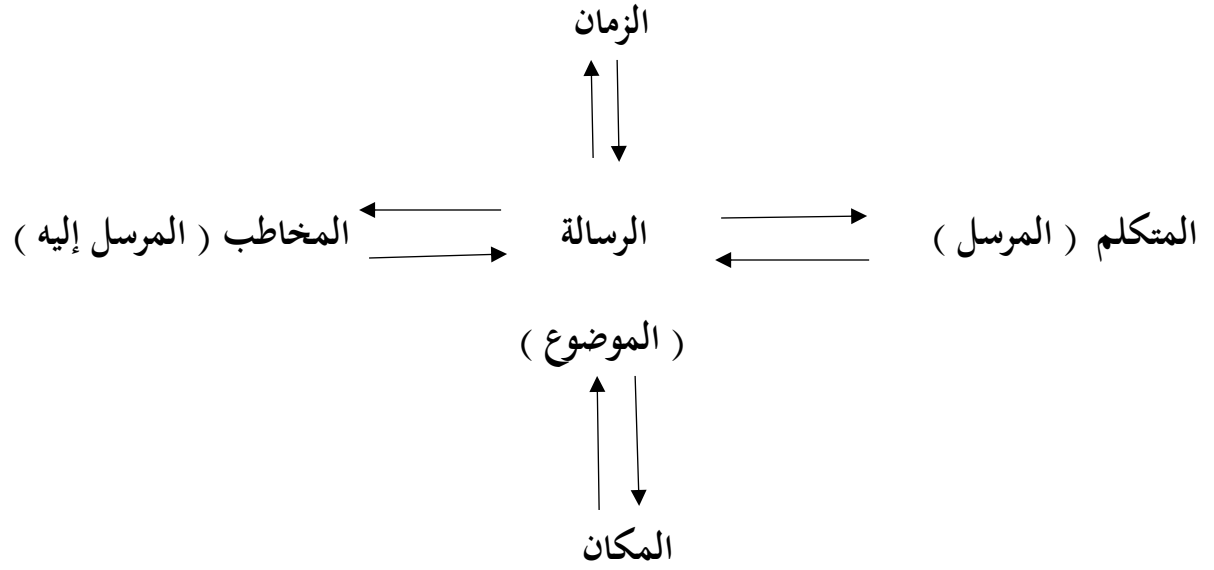

ويشير **هايمس** إمكان المحلل أن يختار الخصائص الضرورية لوصف حدث تواصلي خاص بمعنى هذه الخصائص ليست كلها ضرورية في جميع الأحداث التواصلية فكلما توفر المتلقي على معلومات من هذه المكونات تكون أمامه حظوظ قوية لفهم الرسالة وتأويلها، أو وضعها في سياق معين من أجل أن يكون لها معنى فعلى على الأقل، ويجب معرفة من هو المتكلم / المستمع وزمان ومكان إنتاج الخطاب .[2]

---

[1] – محمد خطابي ، لسانيات النص (مدخل إلى إنسجام الخطاب) ، ص 297 .

[2] – على آيت أوشان ، السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة) ، ص 97 .

بالإضافة إلى تصنيف **هايمس** هناك محاولة أخرى قام بها **ليقيس** لكن غرضه من تحديد خصائص السياق يختلف عن غرض **هايمس** ، وهو معرفة صدق أو كذب جملة ما ، فالغرض إذن منطقي ، أما هذه الخصائص في نظره فهي :

أ – العالم الممكن : بمعنى أخذ الوقائع التي قد تكون، أو يمكن أن تكون أو هي مفترضة ، بعين الاعتبار .

ب – الزمن : اعتبار الجمل المزمنة وظروف الزمان مثل : اليوم ، الأسبوع المقبل .

ج – المكان : اعتبار جمل مثل « إنه هنا »

د – المتكلم : اعتبار الجمل التي تتضمن إحالة إلى ضمير المتكلم (أنا ، نحن ...)

هـ – الحضور : اعتبار الجمل التي تتضمن ضمائر المخاطب ، أنت ، أنتم ...

و – الشيء المشار إليه : اعتبار الجمل التي تتضمن أسماء الإشارة (هذا ، هؤلاء ...)

ز – الخطاب السابق : اعتبار الجمل التي تتضمن عناصر مثل : (هذا الأخير المشار إليه سابقا...)

ر – التخصيص : سلسلة أشياء لا متناهية (مجموعات أشياء ، متتاليات أشياء ...)

من السهل ملاحظة أن هذه الخصائص متقاربة إن لم نقل متماثلة بحيث ما سماه **هايمس** (**مقاما**) فصله **ليقيس** إلى (**زمان ومكان**) وما سماه **هايمس** (**موضوعا**) قسمه ليقيس إلى (**شيء مشار إليه**) و (**خطاب سابق**).[1]

[1] – المرجع السابق ، ص (53 ، 54) .

ثالثا : الإستراتيجيات التخاطبية :

فقد إرتبطت الإستراتيجية في الخطاب لكونه عملية يقوم بها المرسل بإختيار العبارات والكلمات المناسبة وكذا إختيار السياق المناسب ، فهو قبل التلفظ بخطابه يخطط لكيفية إنتاجه ، وكذا كيفية إيصال معناه إلى المرسل إليه ، فالمرسل يحرص كل الحرص على إستعمال اللغة إستعمالا دقيقا يتواءم مع السياق ، وحتي يتمكن من القيام بهذه العمليات لا بد وأن تكون لديه كفاية لغوية بالإضافة إلى الكفاية التداولية والعوامل الثقافية والتاريخية والبشرية التي يولد فيها الحدث ، وإن أي تغيير بأحد عناصر الخطاب يتبعه تغيير في طرقه . فالإستراتيجية بالمقام الأول خطة للوصول إلى الفر المطلوب ، تتحد وفق محور بين أولهما البعد الذهني ، والآخر البعد المادي الذي يشكل تلك الخطة ويرتكز كلا المحورين على الفاعل الذي يحدد مسار خطته وزمان تنفيذ أركانها .وتكون الغاية من الخطاب بصورة عامة الوصول للغاية ويحددها المتكلم ، وللوصول لهذه الغاية فإن المتكلم يعمد إلى إستعمال اللغة بكيفيات متغيرة تتناسب مع تغيير السياق والأحداث والأشخاص والمخاطبون ، وتعد الإستراتيجيات الخطابية من أهم القضايا التي تحدد التميز والإختلاف بين الخطابات المتعددة فالمتكلم لا ينتج خطابه غفلا عن السياق الذي فيه .[1]

كما يتحكم السياق في تنوع الإستراتيجيات " وتعتبر اللغة أداة من أقوى الأدوات التي يستخدمها المتكلم لتبليغ مقاصده إلى المخاطب وللتأثير فيه حسب هذه المقاصد " [2]

نظرا لأن القصد من أهم أركان الدرس التداولي قديما وحديثا لأهميته ودوره التداولي في إستراتيجيات الخطاب خاصة حيث يتمثل الدور الأساسي للمقاصد في بلورة المعنى كما هو عند المرسل ، إذ

---

[1] – باسم خيري خضير ، إستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي مقاربة تداولية ، ط1 ، العراق ، مؤسسة علوم نهج البلاغة ، 2017 ص (26 ، 27) .

[2] – طه عبد الرحمان ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، ط2 ، دار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ،(د.ت) ، ص 245 ،

يتوجب عليه مراعاة كيفية التعبير عن قصده ، وإنتقاء الإستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى ، فوظيفة اللغة هنا في تحقيق التفاعل والإنسجام بين عناصر الخطاب بما يخدم السياق فتتضح المقاصد بمعرفة عناصره ، سواء كانت تلك المقاصد مباشرة أو ضمنية.[1]

فللإستراتيجيات التخاطبية أربعة أنواع وهي : التلميحية ، التضامنية ، التوجيهية ، والإقناعية :

أ) الإستراتيجية التلميحية : (الغير مباشرة) :

فإن الإستراتيجية التلميحية توظف اللغة عن قصد المرسل في كافة مستوياتها ومنها المستوي الدلالي ، إذ يستطيع المرسل أن يعبر عنه وفق شكل اللغة الدلالي ، فيلمح بالقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسياق ، لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المرسل إليه ، فهذه الإمكانات تقضي بنا إلى نتيجة مهمة وهي مركزية السياق في منهج الخطاب دلالته للتعبير عن القصد فيأخذ من : « المهم أن ندرك أن التصريح والتلميح صنفان لا يتطابقان تماما أصناف الأشكال اللغوية الصرفه بيد أنهما يتطابقان مع الأشكال اللغوية في السياق فقط »[2]

وعليه فيمكن أن نعرف الإستراتيجية التلميحية بأنها الإستراتيجية التي يعبر فيها المرسل من غير طريق التصريح المباشر والدلالة الظاهرة بل يختار أن ينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة (التضمين implication والإقتضاء diepréssupposition) ، يحتاج معها المرسل إليه أعمال أليات الإستدلال للوصول إلى القصد الأصلي ، فهي إستراتيجية يحتاج فهمها إلى الإنتقال من المعنى الحرفي للخطاب إلى المعنى المقمر الذي يدل عليه عادة السياق بمعناه العام .[3]

---

[1] – يونسي فضيلة ، مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب ، تناول تداولي للخطاب الثوري ، مجلة الخطاب ، العدد 6 ، معمري تيزي وزو – الجزائر 2010 ، ص 283 .

[2] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ص (52 ، 53) .

[3] – إدريس مقبول ، الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد (15 / 2) ، مج 8 ، 2014 ، ص 551 .

ولقد عرفها " عبد الهادي بن ظافر الشهري " أيضا أنها الإستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي ، لينجز بها أكثر مما يقوله ، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي للخطاب فيعبر ما يقف عنده ألفاظ مستمرا في ذلك عناصر السياق .[1]

فمن البديهي أن السياق يمنح الخطاب الطرف الثاني – المرسل إليه – أكثر من قصد فلم يعد الأخبار هو القصد الوحيد عند المرسل و أن عددناه واحد من مقاصده ، فليس القصد الرئيسي ، إذ يختبئ وراءه قصد آخر ، إختيار المرسل الإستراتيجية التلميحية للدلالة عملية وهو إما بالرفض أو التهكم ، ولذلك لم يستعمل المرسل صيغة الخطاب المباشر وهي الإجابة بفهم أو بلا وبفض النظر عن نوع الخطاب الذي إستعمله الطرف الثاني ، والإهتمام بالتعبير عن القصد هو ما نلمسه أيضا على النحو ذاته في الخطاب التالي :

-يوجد داخل المحطة مكان الصلاة .

إذ يتكون سياق هذا الخطاب من عدة عناصر :

– المكان ، المحطة ، وقود ، مغلقة في وقت الصلاة ، في مدينة الرياض .

فلم يستعمل المرسل الإستراتيجية المباشرة في هذا الخطاب لتعبير عن سبب إغلاقها إذ لم يذكر ، مثلا ما إن كان الوقود متوفرا أم لا ولم يورد أي معلومة أخرى تفسر سبب إغلاق المحطة لكنه ذكر أن هناك مكانا للصلاة داخل المحطة . وهنا يغدو من الواضح أن المرسل قد أنتج خطابه بالإستراتيجية التلميحية بالإعتماد على تفعيل مبدأ التعاون والثقة في أن المرسل إليه سيتمكن من تأويل الخطاب التأويل المناسب للسياق ليدرك أن سبب إغلاق المحطة الرئيسي ، هو أداء للصلاة ويعتمد المرسل أثناء إنتاج خطابه على توظيف ما لدى المرسل إليه معلافة بالعالم ومنها معرفة الثقافية ، ولذلك لم

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 370 .

يضمن خطابه سوى القصد الرئيسي فقط ، وهو " التلميح " بأن المحطة مغلقة لأداء الصلاة ، بيد أن الخطاب يستلزم أكثر من قصد فرعي .[1]

ويرتبط تأويل الخطاب التلميحي بالسياق ، لأن البنية الحرفية للخطاب ولا تظهر المقاصد بوضوح فهي عبارة عن متمنات القول " وهو مفهوم يرجماني يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب ، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره .[2]

وتغدو معرفة المرسل إليه بذلك لازمة ليستعين بها لفهم القصد الرئيسي ومن تلك المقاصد :

1) – أن الوقود متوفر في المحطة ، وأن سبب إغلاقها ليس نفاذه .

2) – أن المحطة ستفتح وأن بيع الوقود يستأنفه بعد أداء الصلاة .

3) – أن إدارة المحطة ملتزمة بتطبيق النظام .

4) – وأن هناك مسجدا لأداء الصلوات فمن يريد الصلاة فله ذلك وأن الطريق مفتوحة ، فالمسجد ليس حكرا على موظفي المحطة .[3]

ويعد التلميح أو التعبير غير المباشر من إهتمامات الدراسات التداولية للغة ، حيث إن " هدف البرجماتية اللسانية الرئيس دراسة اللغة في حيز الإستعمال متجاوزة حدود الوقع الأعلى المباشر في بعد السياقات التي لا يقصد المعنى غير المباشر ، وهذه المعاني لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال فهم

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ص (368 ، 369) .

[2] – محمود عكاشة ، النظرية البراجماتية اللسانية التداولية ، ص 83 .

[3] - عبد الهادي بن ظافر الشهري (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 369 .

اللغة في سياق الإستعمال السياقي الذي يحدد قصد المتكلمين والوقع اللغوي وحده لا يكفي لتحقيق هذا المعنى .[1]

ومن العلماء الذين أشاروا لهذه الظاهرة – التلميح – عبد القادر الجرجاني (400 / 6471) الذي عقد فصلا من كتابه دلائل الإعجاز بعنوان " في اللفظ الذي يطلق ويراد به غير ظاهرة " ، أي أن اللفظ له منيين أحدهما ظاهر غير مقصود ، فقال أعلم أن لهذا الضرب إتساعا وتفننا لا إلى غاية إلا أنه على إتساعه يدور في الأمر الأهم على شيئين : الكناية والمجاز .[2]

❖ **مسوغات الإستراتيجيات التلميحية** : ومن بين هذه المسوغات :

1 – الحرص على التأدب في مخاطبة الآخرين :

ففي حال " التأدب " يجب علينا أن نعيد صياغة القواعد المتبعة بإنتضام ، والشروط المحددة التي بين كيف يفهم المخاطب المعنى المقصود في الإستعمال الواسع لهذا اللفظ الذي يرمي إليه المتكلم .[3]

فالمرسل يستعمل أسلوب التأدب مراعاة لما تقتضيه بع الأبعاد ، فالبعد الأخلاقي يسمي إقتراح فاحش القول ، والبعد الإجتماعي يستدعى رورة إحترام الذوق العام . أما البعد الذاتي ، فهو صيانة الذات عن التلفظ بما يسيء إليها .

ويؤكد " سيرل " أن التأدب يعد من أبرز الدوافع الإستعمال الإستراتيجية غير المباشرة في الطلب ، وهناك معينة تكاد تكون بطبيعتها طرقا عرفية للتأدب في إنجاز الطلب غير المباشر .[4]

---

[1] – محمود عكاشة ، النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ ، ص 21 .

[2] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 66 .

[3] – فان دايك ، النص والسياق ، إستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ط1 ، ، تر : عبد القادر قنيني ، مصر ، إفريقيا الشرق 2000م ، ص 269 .

[4] – عبد الهادي ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ص (371 ، 372) .

2 – التملص من مسؤولية الخطاب :

يعتبر التلميح قناة يوصل من خلالها المتكلم مقاصده بطريقه تضمن له الحماية ، فهو يستطيع الإنكار والتخفي وراء تصريحه عندما يقابل بالإساءة ، فيصبح الخطاب أكثر من تأويل ، ويختار المتكلم التأويل الذي يتناسب مع السياق وفي الأن ذاته يضمن الحماية له وفي هذه الحالة يصبح " القول المضمر هو الذي يملك صاحبه القدرة على التبرؤ من مسؤولية ما يترتب عنه القول من نتائج .[1]

3 – مراعاة مشاعر المتلقي :

يلجأ المتكلم للتلميح حرصا على مشاعر المتلقي من التجريح ، فيحاول إيصال مقاصده بطريقة غير المباشرة ، إذ في مقامات عديدة يفطر المتكلم إلى إستعمال متضمات القول خشية من فرق بعض العادات الكلامية ، والإجتماعية لذا يلجأ إلى إستعمال الحيلة ليضمن عدم تجريح مشاعر المستمع.[2]

4 – التواطؤ بين المتكلم والمتلقي :

تستعمل اللغة غير المباشرة وسيلة لتبادل المعلومات بسرية بين طرفي الخطاب ، وفي هذه الحالة تلعب المعرفة المشتركة بينهما دورا بارزا في تشكيل الخطاب التلميحي الذي يتشكل من حدث أو عدة أحداث يتفرد في معرفتها محرك والتبادل الكلامي وحدهم ، أو أنهم يعرضونها بوجه الخصوص مما يولد بينهم نوعا من التواطؤ سواء كان سلميا أو عدئيا .[3]

فوظيفة الإستراتيجية التلميحية هي إستراتيجية تعبيرية غير مباشرة تفعل التعاون والثقة ، ويعتمد المتكلم في إنتاج خطابه عن توظيف مالدى السامع من معرفة بالعالم .[4]

---

[1] – عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص 199 .

[2] –المرجع نفسه ، ص 112 .

[3] – كاترين كيريرات أوريكيوني ، المضمر ، ص 86 .

[4] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 369 .

ب) – الإستراتيجية التضامية :

تعرف إستراتيجية التضامن بأنها : " الإستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها ، وأن يعبر عن صدى إحترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما ، وإجمالا هي محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه ".

ويمكن أن تتنوع هذه الإستراتيجية بتنوع العلاقة بين المرسل والمرسل إليه وفق معيار السلطة بحيث :

- يتضامن المرسل مع المرسل إليه ⟵ إذا كانت رتبته أقل من رتبة المرسل إليه .

- يتضامن المرسل مع المرسل إليه ⟵ عندما تعلو سلطته .[1]

وقد ربط " جورج يول " هذه الإستراتيجية بالجانب التأدبي حيث ذكر بأنه يمكن إعتبار النزوع إلى إستخدام صيغ التهذيب الإيجابية ، التي تؤكد على التقارب بين المتكلم والسامع ، على أن الإستراتيجية " تآزر " ، يمكن أن تكون هذه الإستراتيجية الأساس العاملة بين مجموعة برمتها أو أن تكون خيارا يستعمله متكلم في ظرف معين .[2]

❖ **مسوغات الإستراتيجية التضامنية** : مما يدعوا المرسل لإنتاج هذه الإستراتيجية تحقيق ما يلي:

1) –تأسيس الصداقة بين طرفي الخطاب :

إن إستخدام الإستراتيجية التضامنية في الخطاب مع الآخرين من خلال إظهار الإهتمام بهم وإقامة العلاقات معهم ، فإنه قد يستخدمها لأجل إقامة الصدقات نفسيا أو إجتماعيا ، ففي الجانب

---

[1] – المرجع السابق ، ص 257 .

[2] – جورج يول ، التداولية ، ص 106 ،

النفسي « تتفق معظم البحوث النفسية المتعلقة بوظائف الصداقة على أن الأصدقاء يؤدون دورا كبيرا في نقص مشاعر القلق والتوتر عند الصديق وذلك بدعم المشاعر الإيجابية السارة وأبعاده عن الوحدة التي يشعر معها بعزلة حقيقية .[1]

2) تحسين صورة المرسل أمام المرسل إليه :

إذا كان يشاع عنه سوء الأخلاق مثل والتسلط والتشدد في الآراء ، فيلجأ المرسل إلى إستخدام هذه الإستراتيجية لنفي ذلك عنه ، وليثبت للمثلثي أنه خلاف ما يشاع عنه ، وذلك ما قد يفعله صاحب السلطة مثلا في سبيل تحسين صورته عند من هم تحت سلطته .[2]

ومن أهم ما يوظف المرسل للتقرب من المرسل إليه والتضامن معه : (إسم العلم ، ألفاظ التحية ، ألفاظ التأييد والصداقة والأخوة ، الإشاريات (الضمائر) ، المكاشفة ، الإعجاب ، اللهجة ...إلخ)

أ) : العلم :

وهو أداة لغوية تتفاوت من حيث تحسيدها لإستراتيجية التضامن إذ أن أبرزها الإسم ، فالكنية ، فاللقب .[3]

ب) – الإشاريات :

لإستعمال الإشارة إفضال في الإستراتيجية التضامنية أهمها تأسيس العلاقة الإجتماعية وتطويرها وهي مؤشر على الإنتماء إلى جماعة معينة أو دليل على الإتفاق معها في الرأي ، وتعد الضمائر من أهم الإشاريات التي يسمى المرسل عن طريقها إلى إثبات تضامنية مع المرسل إليه ، إذ يتجاوز الإسناد

---

[1] – جيلي هدية ، إستراتيجيات الخطاب القرآني في سورة آل عمران ، مقاربة لغوية تداولية ، مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ، تخصص معجمية وقضايا الدلالية ، جامعه محمد الأمين دباغين " سطيف 2 " ، مشرف عبد الغني باردة ، 2017/2016م ، ص 27 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 68 .

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 270 .

إليها الوظيفة النحوية البحته إلى المعيار التداولي المتمثل في التضامن ومنه ، فتتضح أهمية هذه الضمائر (أنا ، أنت ، نحن ، ...) ، إذ أن الضمائر الشخصية بمثابة خدم اللغة المتواضعين لأنهم يمكن بنا أن نطوعهم للخدمة في إنجاز الوظائف الرمزية ، ذاك المستوى الرفيع .[1]

ج) – آلية المكاشفة :

يعتبر كشف الذات والحقيقة عنصر آمن عناصر التضامن ودليل على القرب ، لكن قد نجد المرسل مصرحا ببعض الحقائق كما نجده مكنيا عنها وذلك حسب السياق الذي يرد فيه خطابه ، ومن بين الكنى التي يوظفها "كم"وهي « كناية عن العدد المبهم ولها موضعان هما الإستفهام والخير»[2]

د) – اللهجة :

عندما ما ينتج المرسل خطابه ، فإنه يراعي الفروق اللهجة بنية وبين المرسل إليه فيستعمل لهجة مماثلة للهجته أو قريبة منها .[3]

3) – تفعيل التضامن في حياة الناس :

فالإنسان في حاجة إلى يتضامن مع غيره ، إلى أن يتضامن غيره معه أخذا وعطاءا ، وكل المجتمعات البشرية إنما تتحقق الإنسجام والألفة والإحترام بين أفرادها بإستخدام هذه الإستراتيجية في التخاطبات اليومية ، وهي حتمية لسيرورة الحياة الإجتماعية وتطوها ، فحاجات الإنسان مرتبطة أشد الإرتباط بحاجات الآخر تتحقق هذه الحاجات بواسطة إستخدام هذه الإستراتيجية .[4]

---

[1] – المرجع السابق ، ص 288 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 302 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 313 .

[4] – جيلي هدية ، إستراتيجيات الخطاب القرآني في سورة آل عمران ، مقاربة تداولية لغوية ، ص 70 .

4) – كسب ولاء الناس :

وهذا من الأهداف التي يسمي إليها بعض الناس لتحقيق مكانة إجتماعية معينة أو منصب سياسي هام أو البقاء فيه فيحقق المرسل هذا الهدف من خلال إستخدام هذه الإستراتيجية فيبين المتلقي درجة القرابة بينهما كما يبين له إهتمامه به وبحاجاته ، وبالتالي يقتنعه بصواب آراءه وإختياراته وذلك ما نراه كثيرا في الخطابات والدعايات السياسية وغيرها فكسب ولاء الناس يكون بإستخدام هذه الإستراتيجة.[1]

وهناك مسوغات أخرى مما يدعوا المرسل لإنتاج هذه الإستراتيجية . كتسيير طرق التفهيم والتعليم من طريق التأدب والحد من دور السلطة في حياة الناس ...إلخ .[2]

ج) – الإستراتيجية التوجيهية (التصريحية) :

والتوجهيات هي نوع من الأفعال الكلامية التي يستعملها المتكلم ليحمل المخاطب على عمل شيء ما .[3]

ويعمد المتكلم إلى إستعمال هذا النمط من الأفعال حينما يكون الخطاب المرن غير مناسب للسياق ، فيتكلم المتكلم جانبا من مبدأ التهذيب والتأدب في الخطاب – بحيث مقوله لا يكون – [4] بعدول المتكلم إلى توظيف التوجيه الصريح في محاولة منه فرض قيد على المخاطب .[5]

لذا سميت بالإستراتيجية التصريحية .

---

[1] –المرجع السابق ، ص 71 .

[2] – إدريس مقبول ، الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، ص 71 .

[3] – جورج يول ، التداولية ، ص 90 .

[4] – إدواردي العياشي ، الإستلزام الحواري ، ص 118 .

[5] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 322 .

وتعد الإستراتيجية التوجيهية من الإستراتيجيات المباشرة التي يستعملها المرسل في خطابه إذ يتطابق فيها القصد مع دلالة الخطاب الحرفية . ومنه فمقاصد المرسل تكون موضعية يدل عليها الشكل اللغوي الظاهر . كما يعمد المرسل إلى إستعمالها إبتغاء الوضوح كما يتطلبه السياق لذا فتوظيفها لا يدل على عجز أو سطحية المرسل بل هي من المؤشرات كما يتطلبه السياق . على كفاءته اللغوية والتداولية وإلا لم يكن لها الحظ في الإنظمام إلى إستراتيجيات الخطاب يذهب المرسل إلى إستعمال الإستراتيجية التوجيهية في خطابه مهتما فيها تبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي كما يود بإستعمالها أن يغرض قيدا على المرسل إليه بشكل أو بآخر ، وإن كان القيد بسيطا أو يمارسبها فضولا خطابيا على المرسل إليه بتوجيهه لمصلحته بما يعود إليه بالمنفعة أو يبعد عنه ضررا . ومنه فإن الخطاب التوجيهي .

« يعد ضغطا وتدخل ولو بدرجات متفاوته على المرسل إليه و توجيهه لفعل مستقبلي معين [1]

ويمكننا تعريف الإستراتيجية التوجيهية بأنها الإستراتيجية التي يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل إليه ، ولا يعد التوجيه هنا فعلا لغويا وحسب ، وإنما يعد وظيفة من وظائف اللغة التي تفي بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف هاليداي إذ أن اللغة تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجيهات المرسل إليه وسلوكه .[2]

ويرتكز التوجيه على أمور مهمة ، منها : سلعلة المرسل إذ يكون إستعمال الإستراتيجية التوجيهية نابعا من علاقة سلطوية بين طرفي الخطاب ، وتتفاوت هذه العلاقة من التباين الشديد إلى التقارب الملموس ، وتشكل عاملا من عوامل نجاح الإستراتيجية التوجيهية .[3]

---

[1] – المرجع السابق ، ص (222 ، 223) .

[2] – إدريس مقبول ، الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، ص 549 .

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 325 .

وميزة هذه الإستراتيجية أنها تجنب التكرار في التواصل بين طرفي الخطاب ، ومن وسائلها ، الأمر ، النهي ، الإستفهام ، التحذير والإغراء .

– الأمر :

وهو طلب إيقاع فعل على جهة الإستعلاء ، قال السكاكي : " ولا شبهه في أن طلب المتصور على سبيل الإستعلاء ، يورث إيجاب الإتيان به على المطلوب منه ثم إذا كان الإستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور إستتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة وإلا لم يستتبعه فإذا صادفت هذه أصل الإستعمال بالشرط المذكور أفادت الوجوب وإلا لم تفد ، غير طلب ثم إنها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام إن إستعملت على سبيل التلطف كقول كل أحد لمن يساويه في المرتبة : أفعل بدون إستعلاء ولدت السؤال و الإلتماس [1]

– النهي :

قال السكاكي : محذو به حذو الأمر في أن أصل إستعمال لا تفعل أن يكون على سبيل الإستعلاء بالشرط المذكور فإن صادف ، ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد طلب الترك فحسب ثم إن إستعمل على سبيل التضرع ، كقول المبتهل إلى الله : لا تكلني إلى نفسي سمي دعاء ، وإن إستعمل في حق المساوي الرتبة إلا على سبيل الإستعلاء سمي إلتماسا .[2]

ويجري النهي مجرى الأمر في إشتراطه الإستعلاء والوجوب لتحقق التوجيه الإلزامي(وجوب ترك الفعل) أما إذا فقد شرط الإستعلاء فيكون معناه الغالب الترك فقط دون إلزام فينتج عنه فعل تأثيري غير ملزم كالدعاء والنصح [3]

---

[1] – المرجع السابق ، ص 337

[2] – يوسف بن أبي بكر محمد بن على السكاكي (626هـ) ، ط2 ، تح : نعيم زرزور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1987م ، ص 320 .

[3] – شكري مخبوت ، دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات ، ص 211 .

وبينه تفقد الصيغ الأمرية شرط الإستعلاء فإنها تخرج معان توجيهية أخرى كالتمني والدعاء ... إلخ وهذه معان توجيهية غير إلزامية .

– التوجيهية بالإغراء والتحذير :

التحذير هو " تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليتجنبه [1]

وبخلاف الإغراء ، فهو تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله .[2]

ويتحقق التحذير من الأسماء المضافة إلى كاف الخطاب نحو : رأسك ، ونفسك ... إلخ ، وغيرها معطوفة على المحذر منه نحو : (إياك والشر) و (رأسك والجدار) أو بتكرارها نحو : إياك إياك المراء أو من دون عطف أو تكرار نحو (إياك الأسد) على خلاف و (إياك من الأسد) [3]

أما الإغراء فيحقق بتكرير المغزى به كقولهم : (أخاك أخاك) أي إلزم أخاك ، وبعطفه كقولهم : (المروءة والنجدة) [4]

ولا يتهوم السامع معنى التحذير لأن الكفاءة التداولية هي الفصيل في تحديد قصد المرسل في كلا الخطابين .[5]

---

[1] – خالد الأزهري ، التصريح بمضمون التوضيح في النحو ، ط2 ، تح : محمد ياسل عيون السود ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، 2006 ص 273 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 279 .

[3] – المرجع نفسه ، ص (273 - 278) .

[4] – المرجع نفسه ، ص 279 .

[5] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 351 .

– الإستفهام :

هو طلب الفهم [1] ، والفهم صورة ذهنية تتعلق أحيانا بمفرد :

شخص أو شيء ، أو غيرها ، وتتعلق أحيانا بنسبة ، أو حكم من (الأحكام ، وسواء كانت البنية الحقائقية على يقين أو ظن ، أم شك) .[2]

❖ **مسوغات الإستراتيجية التوجيهية** : وهناك مسوغات عديدة لإستعمال هذه الإستراتيجية منها:

1 – عدم تشابه المتكلم والمتلقي في السمات العامة ، فيحتاج بذلك المتقي إلى النصح والتوجيه .

2 – عدم وجود تكرار باللقاءات بين المتكلم والسامع ، إذ تنحصر لقاءاتهما بالمحافل الرسمية ، فليس هناك عمق بالمعرفة الشخصية .

3 – الشعور بالتفاوت بين مستويات التفكير بين طرفي الخطاب ، مما يؤثر في فهم كل منهما لطبيعته الآخر .

4 – إصرار المتكلم على تنفيذ قصده ، و إنجاز تبليغه ، لذلك تعد أفعال هذا النوع بالأفعال الإنجازية .

5 – رغبة المرسل في الإستعلاء في منزلته الندائية بما يملك من صفات تحول خطابه إلى سلطة على المتلقي .[3]

---

[1] – إبن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، (د–ط) ، تح : محي الدين عبد الحميد ، لبنان ، المكتبة العصرية ، 2005 ، ج1 ص 19 .

[2] – مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، ط2 ، لبنان ، دار الرائد العربي ، 1916 ، ص 264 .

[3] – باسم خيري خضير ، إستراتيجيات الخطاب الإمام علي (عليه السلام) ، ص (119 ، 120) .

وسبب إختيار المرسل لهذه الإستراتيجية إصراره على تبليغ قصده من وراء الخطاب وكذا توجيه المرسل إليه من خلال النصح والتحذير والإرشاد ، وهذه الأفعال لا تقتضي إستعمال المرونة في الخطاب كما أنه يؤدي بإستعمال هذه الإستراتيجية وأن يفرض قيدا على المرسل إليه بشكل أو بآخر ، وإن كان قيدا بسيطا وأن يمارس فضولا خطابيا عليه أو توجهه لمصلحته ينفعه من جهة . وبإبعاده عن الضرر من جهة أخرى ، وهذا النوع من الخطاب التوجيهي قد يكون نوعا من التدخل والضغط على المرسل.[1]

د) – الإستراتيجية الحجاجية (الإقناعية) : وهي :

لا بد من الإشارة إلى أن مفهوم الإقناع يرتبط بمفهوم آخر وهو " التأثير " ، ويكاد هذان المفهومان أن يكونا متلازمتين ، فظاهر لفظ " التأثير " يشير إلى أن عمليه تبدأ من المصدر لتصل إلى المستقبل مع توفر إرادة لذلك في حين أن مصطلح " التأثير " يشير إلى الحالة التي يؤول إليها المتلقي بعد التعرض لعملية الإقناع وإستقبال الخطاب وتفاعله معه .[2]

فإن إستراتيجية الإقناع هي السلطة التي يستخدمها المرسل في خطابه دون الإستراتيجيات الأخرى كالإستراتيجيات الإكراهسية ، ولا تحقق قولا أو فعلا إلا عند تسليم المرسل إليه بالخطاب الملقى ولتحقيق المراد يتوسل المرسل الحجاج بالتعويل على أساليب أو آليات لغوية أو فعاليات إستدلالية خطابية مشيدة على عرض رأي أو الإعتراض عليه ، ومرماها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض أو يبطلان الرأي المعترض عليه .[3]

---

[1] – باسم خيري خضير ، إستراتيجيات الخطاب للإمام علي (عليه السلام) ، ص 119 .

[2] – عامر مصباح ، الإقناع الإجتماعي خلفية النظرية وآلياته العلمية ، ديوان المطبوعات الجامعة ، الجزائر ، 2006 ، ص 17

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 444

وعلى هذا كان الإقناع هو مجال البحث الحجابي نظرا إلى كونه محدّد المقام والمخاطب والإطار القولي.[1]

فتعرف الإستراتيجية الحجاجية ، الإستراتيجية التي يرمي من ورائها المرسل " إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمرسل إليه بمختلف الوسائل بوجاهة موقفه أو رجاحة فكرته ، أو أفضلية سلعته بحسب السياق والموضوع والحوار الدائر بين المرسل والمرسل إليه وكذا بحسب مستواها وطبيعة العلاقة الرابطة بينهم بواسطة ما يسمى بالحوار الحجابي (Dialogical Argumentation) [2]

❖ **مسوغات الإستراتيجية الحجاجية** : مما يدعوا لإنتاج الإستراتيجية الحجاجية يمكن أن نذكر ما يلي:

- قوة تأثيرها في المرسل إليه
- طلب المرسل إليه لها في بعض السياقات
- حصول الإختلاف بخصوص قيمة معينة
- المناظرة العقلية والمجادلة الكلامية
- بة في تحصيل الإقناع بما عند المرسل من بضاعة [3]
- فالوظيفة الإقناعية وظيفة خطابية وما يتصل بها من إلقاء و إقناع ، وإحتجاج ومناظرة .[4]

---

[1] – محمد سالم ولد محمد الأمين ، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، العدد 3 ، عالم الفكر ، الكويت ، مج : 28 ، 2000 ص 67 .

[2] – إدريس مقبول ، الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، ص (555 ، 556)

[3] – المرجع نفسه ، ص 556 .

[4] – باسم خيري خضير ، إستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) ، ص 89 .

وصفوة القول نرى أن الإستراتيجيات في التداولية بوصفها محصلة لسلسلة من عمليات الإختيار ، وإتخاذ القرارات التي تعلم بواسطتها خطوات الحل ووسائل لتنفيذ أهداف إتصالية وما يفهممن هذا التعريف أن الإستراتيجية هنا تركز على العملية التواصلية في اللغة .

فالإستراتيجية إذن عبارة عن مسلك مناسب يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه ، من أجل تنفيذ إرادته والتعبير عن مقاصده التي تؤدي إلى تحقيق أهدافه من خلال إستعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة ويستحسنه المرسل .[1]

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول : أن التداولية تدرس الإستعمال الوظيفي للغة ولا تكتفي بدراسة أثر المقام ، مما يكشف أن موقوعها إنما هو العلاقات المتبادلة بين التعبير اللغوي والتأثير غير اللغوي في سياق التواصل والتخاطب بين مستعملي اللغة ومتداوليها ، ويعد السياق المنطلق الأساسي الذي ترتكز عليه ، وقد إعتلى السياق في الدراسات العربية والغربية قديما وحديثا ولقد إهتم به علماء العرب بمختلف توجهاتهم اللغوية والبلاغيين ، والنحويين والأصوليين ، أما الغرب فذكر فيرث (J.R.Firt) مؤسس النظرية السياقية ، أما بالنسبة إلى أنواع السياق فقد إختلف العلماء والباحثين في تحديده ، فظهرت عدة تقسيمات لأنواعه ولكن قمنا بعرض نوعيين من السياق السياق اللغوي ، والنوع الآخر إحتوى على أربعة أنواع (السياق اللغوي ، الثقافي ، العاطفي والموقف (المقام)) ، وتعنى اللسانيات التداولية أيضا في سبيل دراستها للغة بأقطاب العملية التواصلية ، فهي تهتم بالمتكلم ومقاصده يعدّه محركا لعملية التواصل ، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية (ضمان تحقيق التواصل من جهة ولتستغلها في الوصول إلى أغراض المتكلم والقصد من كلامه من جهة أخرى ، فهو يوظف بذلك إستراتيجيات خطابية مختلفة) .

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 62 .

الفصل الثاني : السياق التداولي في كتاب البخلاء

أولا : تقديم المدونة

ثانيا : تجليات السياق التداولي في المدونة

تمهيد :

و انطلاقا مما سبق لاحظنا أن التداولية تولي اهتماما كبيرا بعنصر السياق باعتباره أحد أهم المفاهيم الأساسية التي تعتمد عليها في تحليل مختلف النصوص كما أنها تبحث عن العوامل والظروف الإجتماعية والثقافية والسياسية والنفسية وغيرها ، التي ساهمت في إنتاج الخطاب إضافة إلى عنصري الزمان والمكان وبتفاعل كل هذه العوامل يكون الخطاب رسالة تواصلية ناجحة ، وقد اخترنا في دراستنا هذه مدونة **كتاب البخلاء للجاحظ** حيث نجد هذا الأخير كان منفتحا على البعد الإنساني من خلال نماذجه التي جمع فيها أخبار البخلاء والمبخلين والمقتصدين فصوّر حالتهم كما رآها أو سمع عنها مستطردا في ذلك إلى مناظرات كثيرة في البخل والكرم والضيافة ... إلخ .

فقد إعتمدا في ذلك أسلوب الحوار، وهذا الأخير سوف نحدد من خلاله السياق التداولي المتمثل في العناصر الآتية: (المرسل والمرسل إليه، الرسالة، شكل الرسالة، الزمان والمكان) في كتاب البخلاء بشكل عام كما اخترنا بعض النماذج المتنوعة من حيث شكل الحوار الوارد فيها وهي: (رسالة سهل بن هارون، قصة جبل وأبو مازن، نادرة ماء النخالة) بشكل خاص، إضافة إلى تحديد بعض الإستراتيجيات التخاطبية المختلفة:(التلميحية ، التضامنية ، التوجيهية ، الحجاجية) التي وظفها الجاحظ في الكتاب .

أولا : تقديم المدونة :

إن الجاحظ أول من أفرد للبخل كتابا بين فيه نفسيات البخلاء وميولهم، وأهواءهم، وفلسفتهم في البخل، وجعله في قصص ممتعة وأخبار شائقة يقرأها الأديب فيطرب وغير الأديب فيعجب .

ولم يأخذ الجاحظ نماذجه من بطون الكتب وقديم الأخبار بل جاء بهم من بيئتهم أو استمدها من خلصائه وخلطائه ذوي الطرف والدعابة من مجتمعه البصري، أو البغدادي أو من غيرهما.[1]

[1] – علي عمرو، بنية النص الحكائي في كتاب البخلاء ، مجلة الجامعة الخليل للبحوث ، العدد 2 ، فلسطين ،2010 ، ص 177 .

فاحتوى كتاب البخلاء على ست وثمانين عنوانا ، فجاء في شكل مجموعة من النصوص المتباينة من حيث (الطول والقصر والبسيط والمركب)، أما نوعا فهناك القصة والرسالة والنادرة والطرقة و الحديث.[1]

حيث صور فيه الجاحظ البخلاء الذين قابلهم وعرفهم في بيئتهم الخاصة، خاصة في بلدة مرو (عاصمة خراسان)، وفيه صور الجاحظ تصويرا واقعيا حسيا نفسيا فكاهيا، فأبرز لنا حركاتهم ونظراتهم القلقة وكشف أسرارهم وخفايا منازلهم و اطلعنا على مختلف أحاديثهم، وأرانا نفسياتهم وأحوالهم جميعا، فالكتاب دراسة اجتماعية تربوية نفسية اقتصادية لهذا الصنف من الناس، يوثق لهذه الفئة بشكل ساخر وفكاهي ومازج وهزلي، والكتاب يعد مصدر توثيق مهم جدا للأجيال المتوالية سواء على مستوى التربية أو المستوى الإبداعي حيث جمع فيه الجاحظ قصصا عن البخل والبخلاء، وخصوصا البخل بالطعام وأكثرها واقعية وأما بالنسبة للشخصيات الكاتب ستر أسماءها ونفر الناس وعاداتهم وخصوصا أولئك الذين يبخلون بشيء دون شيء أو يبخلون على أنفسهم خاصة ويتحملون كل مشقة في أجسامهم وفي أنفسهم في سبيل ادخار المال، كما يتساهلون في سبيل ذلك بكثير من مثلهم العليا، ثم إن الجاحظ يريد أن يصف جانبا من الحياة في العصر العباسي: حياة البخل في خصم من الترف وحياة أولئك الذين كانوا فقراء ثم أيسروا فجأة، إنّ طريق رواج تجارتهم أو صناعتهم أو ارتفاع أثمان أراضيهم بعد ذلك الانقلاب الاقتصادي الذي حدث في صدر العصر العبّاسي.[2]

ويتحدث الجاحظ في مدخل كتابه، من خلال مقدمة عنوانها " **ربّ أنعمت فزد** " عن المحتوي وعن أسلوبه فيه، وأنه في نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء، وما يجوز من ذلك في باب الهزل، وما يجوز في باب الجد، وكذلك عن الباعث على تأليفه، والإلماع إلى مصاغره والأبواب التي يتناولها. وقد جاءت مقدمته على شكل رسالة موجهة إليه من صاحب لم يذكر اسمه، رجاه فيها أن يحدثه عن

[1] – الجاحظ البخلاء، شر: عباس عبد الساتر، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص (311، 312) .

[2] – عمرو فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية، (د.ط) ، دار العلم الملايين، (د. ت) ، ج 2 ،بيروت، لبنان، ص 308 .

البخيل ونوادر البخلاء عن حيل لصوص الليل ... وأوضح الجاحظ في المقدمة أن أشخاص البخلاء بعضهم حقيقيون وبعضهم الآخر وهميون لم يذكر أسمائهم: " **وقد كتبا لك أحاديث كثيرة مضافة إلى أربابها ، وأحاديث كثيرة غير مضافة إلى أربابها إما بالخوف منهم ، وإما بالإكرام لهم** .[1]

فالكتاب البخلاء أهمية علمية حيث يكشف لنا عن نفوس البشر وطبائعهم وسلوكهم فضلا عن احتوائه على العديد من أسماء البلدان والأماكن وصفات أهلها والعديد من أبيات الشعر والنادرة والأحاديث والأثار فالكتاب موسوعة علمية أدبية اجتماعية جغرافية تاريخية.

ثانيا : تجليات السياق التداولي في مدونة " البخلاء " :

1 – المرسل :

يعتبر المرسل (المخاطب) من بين أهم العناصر السياقية التي تتشكل منها عملية إنتاج الخطاب فالمرسل هو الذي يقوم بترتيب أفكاره ورغباته في الخطاب، « فهو مصدر الخطاب المقدم إذ يعتبر ركنا حيويا في الدائرة التواصلية ، وهو الباعث الأول على إنشاء الخطاب الذي يوجهه إلى المرسل إليه بشكل رسالة ».[2]

لذا لا يمكننا أن نتحدث عن أي خطاب بدون الحديث أولا عن منتجه، الذي يعتبر بمثابة :« **الذات المحورية في إنتاج الخطاب لأنه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة بغرض تحقيق هدف فيه ، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه باعتماد استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنيا، والاستعداد له، مما في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة، بما يضمن تحقق المنفعة الذاتية بتوظيف كفاءته للنجاح في نقل أفكار بتنوعات مناسبة** » .[3]

---

[1] – الجاحظ ، البخلاء (د.ط)، تح : طه الحاجري ، مصر ، دار المعارف ، 2005 ، ص 18 .

[2] – الطاهر بومزبر ، التواصل اللساني والشعري ، ط1 ، منشورات الإختلاط ، 2007 ، ص 24.

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب ، (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 45 .

فإن القارئ عندما يلقي بالنظر الأول على كتاب " البخلاء " يكتشف بأن مؤلف هذا الكتاب هو الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، من بني كنانة، بن خزيمة من مضر .ولد في البصرة سنة 160هـ تقريبا. ولقب بالجاحظ لجحوظ في عينه [1] لهذا فهو المرسل العام وأحد أهم أقطاب العملية التواصلية في الكتاب، فهو المخاطب والمرسل لخطاب البخلاء، وهذا ما أكده عدد من الباحثين نذكر منهم :

أ – عباس عبد الساتر : الذي قدمه وشرحه سنة 2004 بيروت .

ب – طه الحاجري : الذي حقق الكتاب وعلق عليه سنة 2005 . بمصر .

ج – نزار عابدين : الذي أعاد كتابته بلغة جديدة سنة 2012 بدمشق وغيرهم .

2 – المرسل إليه :

يعتبر المتلقي أو المرسل إليه أو المخاطب، أحد أقطاب العملية التواصلية ، فبدونه لا يمكن في حال من الأحوال أن تتم هذه العملية، فهو الطرف الثاني الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمدا، لذا نجد استحضار المرسل إليه فهي ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب : « هو ما يسهم في حركية الخطاب ، بل يسهم في القدرة التوعية، ويمنحه أفقا لممارسة اختيار استراتيجية خطابه » [2]

«**فالمرسل إليه هو المستمع أو القارئ أو المتلقي الذي يتلقى القول** » [3]

فالمتلقي العام في كتاب البخلاء الذي نحن بصدد دراسته القارئ أيا كان في كل زمان ومكان .

---

[1] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص 6 .

[2] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب ، (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 48 .

[3] – محمد الخطابي لسانيات النص ، (مدخل إلى إنسجام الخطاب) ، ص 53 .

أما المتلقي الخاص فقد اختلف الباحثين في تحديده وقيل : إنه إجابة لطلب أحد عظماء الدولة، الذي طلب منه التأليف في نوادر البخلاء ورجح أحد المحققين لكتاب البخلاء أن الذي قدم له هذا الكتاب هو أحد الثلاث :

– محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق: لما كان بينه وبين الجاحظ وثيق الصلة .

– الفتح بين خانق وزير المتوكل: لما أثر عن الفتح من الإعجاب لكتب الجاحظ وحثه على تأليف في مختلف الشؤون .

– إبن المدبر: وقد كان للجاحظ صديقا حميميا وهذا ما أكده المحقق أحمد العوامري ورفيقه في مقدمة تحقيق البخلاء .[1]

وقد جاءت مقدمته على شكل رسالة موجهه إليه من صاحب لم يذكر اسمه، وجاه فيها أن يحدثه عن البخيل ونوادر البخلاء بعد أن حدثه عن حيل لصوص الليل ... وأوضح الجاحظ في المقدمة أن أشخاص البخلاء أسماءهم : " **وقد كتبنا لك أحاديث كثيرة مضافة إلى أربابها ، وأحاديث كثيرة غير مضافة إلى أربابها ، إما بالخوف منهم ، وإما بالإكرام لهم** ".[2]

– وهناك عبارات دالة في مقدمته أيضا ذكرها الجاحظ توحي بأن المرسل إليه لشخص لم يصرح بإسمه: « **وقلت أذكر لي نوادر البخلاء في باب الجد ، لأجل الهزل مشرحا وراحة جماما** ».[3]

– وفي موضع آخر : « **فأما ما سألت من احتجاج الأشحاء ونوادر أحاديث ، فسأوجدك ذلك في قصصهم** »[4]

[1] – علي عمرو ، بنية النص الحكائي في كتاب البخلاء ، ص (177 – 188) .

[2] – الجاحظ ، البخلاء ، (د،ط) ، تح : أحمد سويد ، دار الإحياء العلوم ، بيروت ، 1992 ، ص 28 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 15 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 24 .

3 – الرسالة :

ويقصد بالرسالة المضمون أو الموضوع المراد نقله أو توصيله فإن الرسالة تشكل « القطب الثالث في العملية التواصلية ومضمونها يبدأ من المتكلم وينتهي بفهم الخطاب » [1]

ومن عنوان الكتاب (البخلاء) يتبين أن الجاحظ يتحدث على ظاهرة البخل، ويعرفه ألأصفهاني البخل بأنه : « إمساك المقتنيات عما لا يحق حسبهما عنه ويقابله الجود »[2]

فالجاحظ اختار موضوعا واحدا دار في فلكه على مدار أربعمئة من الصفحات وزادت دون أن يخرج من مدار البخل والبخلاء، ولم يسلك طريق الإستطراد [3]

وبخيل الجاحظ ليس مفردا بل مجموعة بخلاء تتحكم في رسم صورتهم محمولات إنشائية متنوعة [4]

فلقه صور لنا أحوال فئة من الناس اتخذت لنفسها منهجا معينا في التفكير والتصرف والسلوك، وبات مقتنعا به اقتناعا كاملا، فإذن البخل هو واقعهم ومفهومهم وحياتهم التي يسيرونا عليها، ويحاولون إقناع الناس أنهم أصحاب فكر ومنطق ورجال تدبير، وذو اقتصاد وتوفير [5]

قد ركز الجاحظ في كتابه عن نقد ظاهرة البخل عامة والبخل في الطعام والشراب خاصة، وهذه من ملذات الدنيا التي لا يستغني عنها الإنسان في كل زمان ومكان .

– وإهتمامه بهذه الظاهرة كان مميزا، ولا يمكن بحال ما أن نغفل الجهد الذي بذله في تتبع تلك الظاهرة : رصدا وتحليلا وتسجيلا ولا شك أن الأثار الاجتماعية والخلقية لهذه الظاهرة على عصره قد شدته إليها بعنف مما جعله يتقدم لعلاجها في هذا الاهتمام .

---

[1] – ينظر: زين رانيا رمضان أحمد، اللسانيات التواصلية وجذورها في التراث النحوي العربي، ط1، الأردن، دار جليس الزمان، 2005، ص147.

[2] – الأصفهاني أبو قاسم الحسين محمد بن المفضل الراغب، المفردات في غريب القرآن ، (د.ط) ، بيروت، دار المعرفة، (د .ت) ، ص 38 .

[3] – علي شليق ، الجاحظ، ص 64 .

[4] – رفيقة مراد، الخلفيات النظرية لإنشائية الإضحاك في البخلاء ، (د.ط) ، تونس ، 2007 ، ص 135 .

[5] – الجاحظ، البخلاء، شر : عباس عبد الساتر ، ص 9 .

– ومما لا شك فيه أن توجه المرسل نحو تحقيق مقاصد معينة من وراء خطاب بحيث عليه بناء وفق خطط معينة وإستراتيجيات معينة تخدم الغرض من توجيه، ومع تبيين لأهم المقاصد التي يرسمها كتاب البخلاء الجاحظ وإلمامنا بالعناصر والظروف السياقية المحيطة بالفعل التخاطبي في الكتاب يبقى أن نحاول التماس أهم الإستراتيجيات التي وظفها سعيا وراء تحقيق أهدافه ومراميه، فالإستراتيجيات التي تتضح من خلال كتاب الجاحظ وتبعا لمقاصده من وراء تأليفه للكتاب، هي كالآتي :

ثالثا :إستراتجيات الخطاب :

يتضح لنا توظيف **الإستراتيجية التلميحية** انطلاقا من أول عتبات هذه المدونة كتاب البخلاء – هو العنوان : (**البخلاء**) فلقد جاء كلمة مفردة ، (أل) التعريف وجمع التكسير ، ولقد تكررت كلمة البخل ومشتقاتها داخل الكتاب وهنا شكل من أشكال التلميح، فعمد الجاحظ إلى الاستشارة لهذه الفئة فهناك من صرح بأسمائهم : **كالأصمعي و أبو سعيد المدائني، والكندي وابو نواس وغيرهم** وهناك شخصيات لم يصرح بأسمائهم ،كما جاء ذلك في بعض النوادر " **درهم على درهم** " **و** " **الحراق والقداحة والعرجون** " ، " **الحمار والماء الأجاج** "... **إلخ** ،وتعدّد مظاهر الاستخدام الاستراتيجية التلميحية في مواضع شتى داخل الكتاب في سياقات الحوار فمثلا في : " **قصة أهل البصرة من المسجديّين** "

« **قال أصحابنا من المسجديّين :**

اجتمع الناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة، والتثمير للمال من أصحاب الجمع والمنع. وقد كان هذا المذهب عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب وكالحلف الذي يجمع على التناصر وكانوا إذا التقوا في حلقتهم تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه ، التماسا للفائدة، واستمتاعا بذكره .»[1]

[1]– المصدر السابق ، ص 53 .

أي إن مذهبهم في البخل واجتماعهم في المسجد فالنسب والمودة ، وكحلف الذي يحملهم عل نصرة بعضهم البعض فهم يجتمعون في المسجد لتدارس البخل وطرقه وإلتماسا للفائدة وتبادل الخيرات والمقصد الذي يمكن استخلاصه أن البخل في عصر الجاحظ صار له أنصار يدافعون عنهم وله مجلس يلتقون فيه ويتبادلون فيه كل جديد في البخل .

والواقع أن البخل – كما يظهر لنا كتاب البخلاء – قد أضحي في عصر الجاحظ مذهبا له أتباعه وأنصاره ولاريب أن مردّ ذلك إلى تراكم عنصر خطير من عناصر الثروة في حضارات العباسيين زمن الجاحظ ، ونفي به الذهب والمعادن الثمينة .[1]

ويتجسد التلميح في موقع آخر ، في قصة : " **جبل أبو مازن** " « **وكان جبل خرج ليلا من موع كان فيه ، فخاف العسس ، ولم يأمن أحد يتبعه فيقره . فقال : « لو دقت الباب على أبي مازن فبتّ عنده في أدنى بيت أو في دهليس، ولم ألزمه من مؤنتي شيئا ، حتى إذا انصدع عمود الصبح خرج في أوائل المدجنين » ، فدق عليه الباب دقّ واثق ودق من يخاف أن يدركه العسس أو أحد يتبعه وفي قلبه من الخوف ما يزيد عن الكفاية فلم يشك أبو مازن أنه دق صاحب هديّة ، فنزل سريعا . فلما فتح الباب ، ونظر لجبل ، أبصر الموت ، فلما رآه جبل واجما لا يجير كلمة** » [2]

فالجاحظ هنا يصور لنا حالة البخيل لما تفاجئ بقدوم الضيف (جبل) فكان قدومه صدمة لأبو مازن البخيل ، والمقصد الضمني هنا أن البخيل يؤذيه وجود الضيف فهو أشد عليه وقعا من الموت .

وهناك مواقع أخرى وظفها الجاحظ بطريقة غير مباشرة وذلك بتوظيف رموز وإيحاءات تفهم من خلال السياق العام والعناصر المشتركة فيه ، ومثال ذلك : « **وحدثني عمرو بن نهيوي قال : تغذيت يوما عند الكندي ، فدخل عليه رجل كان له جارا وكان لي صديقا ، فلم يعر عليه**

[1] – سعد فاروق ، مع بخلاء الجاحظ ، دراسة تحليلية مقارنة مع منتخبات ، (د.ط) ، (د.ب) ، دار الأفاق الجديدة ، 1983م ، ص 43 .
[2] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص 66 .

الطعام ونحن نأكل . وكان أبخل خلق الله . قال فاستحييت منه، فقلت. سبحان الله لو دنوت فأصبت معنا مما نأكل ! قال : قد والله فعلنا فقال الكندي : ما بعد الله شيء ! قال عمرو : فكتفه والله كتفا لا يستطيع معه قبا ولا بسطا ، وتركه ولومدّ يده لكان كافرا ، أو لكان قد جعل مع الله – جل ذكره – شيئا ! »[1]

حيث تفضت جملة " **فلم يعر عليه ونحن نأكل** " تلميحا مفاده البخيل شخص أناني يكره المشاركة في الطعام ، فهو لا يشعر بالحياء البخيل شخص أناني يكره المشاركة في الطعام ، فهو لا يشعر بالحياء إذا انتهك آداب الضيافة والتعامل، وكذلك جملة " **ما بعد الله شيء !**" تخمت تلميحا مفاده طعام البخيل مقدس ثمن شاركه فيه كأنما أشرك بالله .

وكذلك عمد الجاحظ إلى رموز ومن أمثلة ذلك :

" **ليلى الناعطية** " رمزا للبخل والتقتير ، وهو أوجه آخر من وجه البخل والشح .

" **مريم الصناع** ": رمزا للحكمة والتدبير .

" **أم فيلوية** " : رمز للصبر والثبات .

ويلعب السياق : دورا هاما في الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى الضمني للمرسل يختار من القرائن ما يناسب مع حال المرسل إليه.[2]

إذن يبقى التلميح ما لم يصرح بمقصده بين طرفيه فإذا صرح ينتقي التلميح إلى التصريح ، مما يحيل إستراتيجية الخطاب إلى إستراتيجية (المباشرة).[3]

فالإستراتيجية التلميحية تعني توظيف المرسل خطة تخاطبيه تقوم على إيصال المقاصد بطريقة غير مباشرة حيث يستثمر كلا من المرسل والمرسل إليه والسياق في إنتاج الخطاب التلميحي ، فهي تهتم

---

[1] – المصدر السابق ، ص 112 .

[2] – يوسف عبد العدوس ، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، ط1 ، الأردن ، الأبعاد المعرفية والجمالية منشورات الأهلية ، 1997 ، ص 107 .

[3] – ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري (إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية) ، ص 410 .

بالمعنى الضمني أو المضمر من الخطاب فهي كذلك تستند على الكفاءة التداولية للمرسل إليه ، وكذلك على السياق بما فيه المعرفة المشتركة بين المرسل والمرسل إليه أي المتخاطبين

– وكما أشرنا سابقا إلى المرسل إليه بأنه أحد أصدقاء الجاحظ، وهذا ما استلزم وجود علاقة تقارب بين طرفي الخطاب – المرسل والمرسل إليه – وهذا ما تمثله " **الإستراتيجية التضامنية** " ، وكان ذلك في طبيعة العلاقات الرابطة بين الأطراف المجسدة له ، كونهما يتموضعان في موضع الأصدقاء ويجمع بينهما نوع من الألفة إضافة إلى ميل الجاحظ لاستعمال **الإشاريات الشخصية** ومثال ذلك في الكتاب : الضمائر المستترة تثير إلى الجاحظ من خلال الأفعال الماضية (**قلت ، حدثني ، سمعت ... إلخ**) فهذه المفردات مستخدمة في نقل الكلام الذي سمعه الجاحظ من غيره ليصدر عنها موقفه من البخل والبخلاء .

إضافة إلى تجسيد هذه الاستراتيجية "**أسماء الأعلام** " فنجد أن الجاحظ يروي بعض قصصه على أشخاص معروفين منهم : "**الأصمعي ، سهل ابن هارون، زبيدة بن حميد و أبو نواس وخالد ابن يزيد** " وغيرهم وكذلك من آليات هذه الإستراتيجية آلية " **ألفاظ التحية** " فنجد أن الجاحظ قد وصف وصوّر البخلاء تصويرا واقعيا حسيا فأبرز لنا حركاتهم ونظراتهم وفضح أسرارهم فمثلا نجد في " **قصة السلام والطعام** « **قال إبراهيم : فبينا هو يوما من أيامه يأكل في بع المواضع إذ مرّ به رجل فسلم عليه ، فرد السلام ، ثم قال : ((هلم عافاك الله)) . فلما نظر إلى الرجل وقد ثنى راجعا ... مجيبا لك : ((وعليكم السلام)) ».**[1]

وما يوظف المرسل – الجاحظ – للتقرب من المرسل إليه والتضامن معه ، كذلك في توظيف "**اللهجة**" وهي تعد مجموعة من الخصائص اللغوية يتحدث بها عدد من الأفراد في بيئة جغرافية معينة ، وتكون تلك الخصائص على مختلف المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، وتميزها عن بقية اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة ، ولكن يجب أن تبقى تلك الخصائص من القلة بحيث لا

[1] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص 225 .

تجعل اللهجة غريبة عن أخواتها عسيرة الفهم على أبناء اللغة لأنه عندما تكثر هذه الصفات الخاصة على مر الزمن لا تلبث هذه اللهجة أن تستقل ، وتصبح لغة قائمة بذاتها [1]

فمن الألفاظ العامة التي تلفظ بها الجاحظ في كتابه " البخلاء " نجد :

– **كراع** : شيء من ساق الغنم وغيرها .[2]

– **القداحة** : الحجر الذي يستعمل لقدح النار .[3]

– **القصيدة** : دقيق يمزج بالسمن ويطبخ .[4]

– **البرمة** : القدر من حجر .[5]

وغيرها من هذه الألفاظ : **كالقصعة ، السعفة ، الشعير ، الفريك** .

أما " **الاستراتيجية التوجيهية** " فالجاحظ كان ساعيا لتبليغ مقاصده في كتاب " البخلاء " ، حيث جمع في حياته الكثير من التوجيهات والنصائح ، فلا يقوم الجاحظ في كتابه على إيذاء المشاعر الشخصية بل تقديم صورة عن كيفية التصرف بالمال بطريقة اقتصادية ومحاربة الإسراف .

فوظف الجاحظ في كتابه هذا (البخلاء) ، كل من **الأمر والنهي** لكونهما مدار التكليف وذات عناصر متكاملة في العملية التواصلية ولقد اعتبر " **سيرل** " : الأمر والنهي من الأفعال التوجيهية التي تمثل وظيفتها في توجيه المخاطب للمخاطب إلى فعل شيء أو تركه .وجاء كلا الفعلين في **رسالة الثقفي يرد على أبي العاص** « **واحذر أن تخرج من مالك درهما ، حتي ترى نمانه خيرا منه ولا تنظر إلى كثرته ، فإن رمل عالج ، لو أخذ منه ولم يردّ عليه لذهب عن آخره** ».[6]

---

[1] – إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، (د.ط) ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ، 1965م ، ص (17 ، 18) .

[2] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص 30 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 58 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 60 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 79 .

[6] – المصدر نفسه ، ص 225 .

فالفعل الأول على صيغة الأمر " **وأحذر أن تخرج من مالك درهما حتى ترى مكانه خيرا منه** " فالأمر هنا يتجاوز معناه الحقيقي (على سبيل الاستعلاء) ومعناه يتمثل في أن الإنفاق عند البخيل يرتبط بالعوض والبدل ، والفعل الثاني بصيغة النهي " **ولا تنظر إلى كثرته فإن رمل عالج ، فلو أخذ منه ولم يرد عليه لنذهب عن آخره** " فالنهي هنا أيضا يتجاوز معناه الحقيقي للتحذير من عواقب الإنفاق بلا رقابة أو مقابل ، وتتمثل نهاية من لا يأخذ بنصائح هذا البخيل في ضياع كل أمواله ، ولو كانت بكثرة رمل عالج .

وأما ما يكشفه الإستفهام باعتباره أسلوبا من أساليب الإستراتيجية التضامنية هو كالآتي :

« **فمن يلومني على ترك دعوة قوم قربوني من الفقر ، وباعدوني من الغنى ، وكلما دعوتهم أكثر كنت من الفقر أقرب ، ومن الغنى أبعد ؟** ، فهذا يدل على أن قلة الطعام يكشف خوف البخيل من الفقر حيث تضمن هذا الاستفهام صورة نفسية للبخيل الخائف من الفقر، فهو يقطع أواصرا المحبة والأخوة خوفا من خسائر الضيافة .

ومن الأساليب التوجيهية أيضا : " **التوجيه بالإعجاب والإغراء** " كما ذكرنا سابقا ، فقول إسماعيل بن غزوان الذي مدح طريقة أستاذه الكندي في البخل : " **قال إسماعيل بن غزوان : الله درّ الكندي ! ما كان أحكمه وأحضر حجته ، وأنصح حبيبه وأدوم طريقته !** ". [1]

افتتح إسماعيل بن غزوان مدحه بأربعة أفعال كلامية بصيغة تعجبية، تتمثل في مدى إعجاب إسماعيل بن غزوان بأستاذه الكندي ، فبراعة في التدبير والادخار وحكمته ، تجعل منه قدوة في البخل تستحق المدح والإعجاب، وقد ذكر إسماعيل بن غزوان ما يثبت حنكته وطريقة دفاعه عن البخلاء والبخل .

وتتجسد " **الإستراتيجية الإقناعية** (**الحجاجية**) من خلال ما يرويه الجاحظ من أوجه الحوار الذي يكون ذات صيغة حجاجيه بين طرفي الخطاب، حيث نبعى من خلاله كل منهما إلى إقناع الآخر في

[1] – المصدر السابق ، ص123

قضية" **البخل** " والحوار الذي يدور في متن الكتاب ، يجعل أجواء الفكاهة والدعابة بين القراء والسامعين مع ذلك تهدي المرسل إليه إلى الرغبة في البخل والمعيشة مثل البخلاء ، ولهذا فالهدف والإسراف ، لذلك قد ذكر طبيعية البخلاء وإحتجاجهم في البخل ، وبالنسبة لهذه الإستراتيجية فهناك آيات قرآنية وكذلك أحاديث الرسول (ص) وكلام العرب ، ومثال ذلك :

الآية الكريمة في قوله تعالى : « **وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً** » ، **وقال الله جل ذكره** : « **خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** » [1]

ولقد وردت هاتين الآيتين في " **في قصة غلام صالح بن عفان** " و أما عن أحاديث الرسول كثيرة نذكر منها : ((**قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصية المرء يوم فقره وحاجته ، وقبل أن يفر عن** : ((**الثلث والثلث كثير**)) **ولقوله صلى الله عليه وسلم أيضا** : « **إنك تدعْ عيالك أغنياء خير من أن تدعهم علة يتكففون الناس** »[2]

ولقد ورد هذا الحديث في " **حديث إسماعيل بن غزوان** " وأما عن كلام العرب ، **قول الشاعر** :

رأيت الخبز هزّ لديك حتى حسبت الخبز في جوّ السحاب

وما روحتنا لتذبّ عنا ولكن خفت مرزنة الذباب [3]

وأما فيما يخص كلام العرب نجد :

وفي قول العرب : « **هذا ماء نمير يصلح عليه المال** »[4]

وأيضا قد قال بعض العرب : « **اللهم إني أعوذ بك من بع الرزق** » [5]

---

[1] – المصدر السابق، ص 170 .

[2] – المصدر نفسه ، ص (125 ، 126) .

[3] – المصدر نفسه، ص 168 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 132 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 236.

ونجد أن هذا الطابع من الحجج والإقناع مختلفة مراميه الزوايا في هذا الكتاب وكلها تصب في موضوع البخل ، ومقاصد الجاحظ عن هذه الظاهرة ، على ألسنة البخلاء من حجج وأدلة على بخلهم وعلى وجوب إتباعهم في مذهبهم هذا ، ولاحظنا في ثنايا الكتاب إلى أن وقوف الجاحظ مع حجج البخيل ما هو إلا نوع من زيادة التدبر والسخرية من الشخص البخيل .

وعندما كان يركز في نماذجه على الإحتجاجات وأقوال البخلاء بشكل كبير في الإقناع ومثال ذلك نجد : " **في قصة محفوظ النقاش** " عندما تظاهر البخيل بمظهر الكرم فيدعو الجاحظ إلى وليمة أو تناول طعام جيد ، **حيث قال** :

« **أين تذهب في هذا المطر والبرد ، ومنزلي منزلك ، وأنت في ظلمة وليس معك نار ، وعندي لبأ ، لم ير الناس مثله وتمر ناهيك به وجودة ، لا تصلح إلا له** ». [1]

ولكن رغم هذا القول ، ولكن بخله يطل برأسه من طرف خفيّ فيدعوا اليف بأسلوب فخم وحجج قوية إلى التقليل من الأكل خشية التعر لآفة أو مرض جراء الأكل فيشعر به الضبف (الجاحظ) ضاحكا عليه وهو غافل عن أن اليف أدرك بخله ، ويظهر ذلك في قوله هذا ، **قائلا** : « **يا أبا عثمان إنه لبأ وغلظة ، وهو الليل وركوده ثم ليلة مطر ورطوبة وأنت رجل قد طعنت في السن ولم تزل تشكو الفالج طرفا ، ومازال الغليل يسئ إليك وأنت في الأصل لست بصاحب عشاء**» [2]

وقال أيضا : **وإنما قلت هذا الكلام ، لئلا تقول غدا : كان وكان والله قد وقعت بين نابي أسد لأني لو لم أجئك به ، وقد ذكرته لك قلت : « بخل به وبداله فيه » ، وإن جئتك به ، ولم أحذرك منه ، ولم أذكرك كل ما عليك فيه ، قلت : « لم يشفق على ولم ينصح**»[3]

---

[1] – المصدر السابق ، ص 165 .

[2] –المصدر نفسه، ص 165 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 165 .

ففي هذا الحوار تظهر ملامح البخل والشح .

4 – شكل الرسالة :

ويعني ما هو الشكل المقصود : دردشة ، جدال ، عظة ، خرافة ... [1] ؛ حيث اعتبر كتاب البخلاء كلوحة فنية تفننا الجاحظ فيه حيث احتوي الكتاب على عدة أشكال من الفنون ، كالرسائل والطرائف والقصص والنوادر وكذلك الأحاديث والوصايا وهو كالآتي :

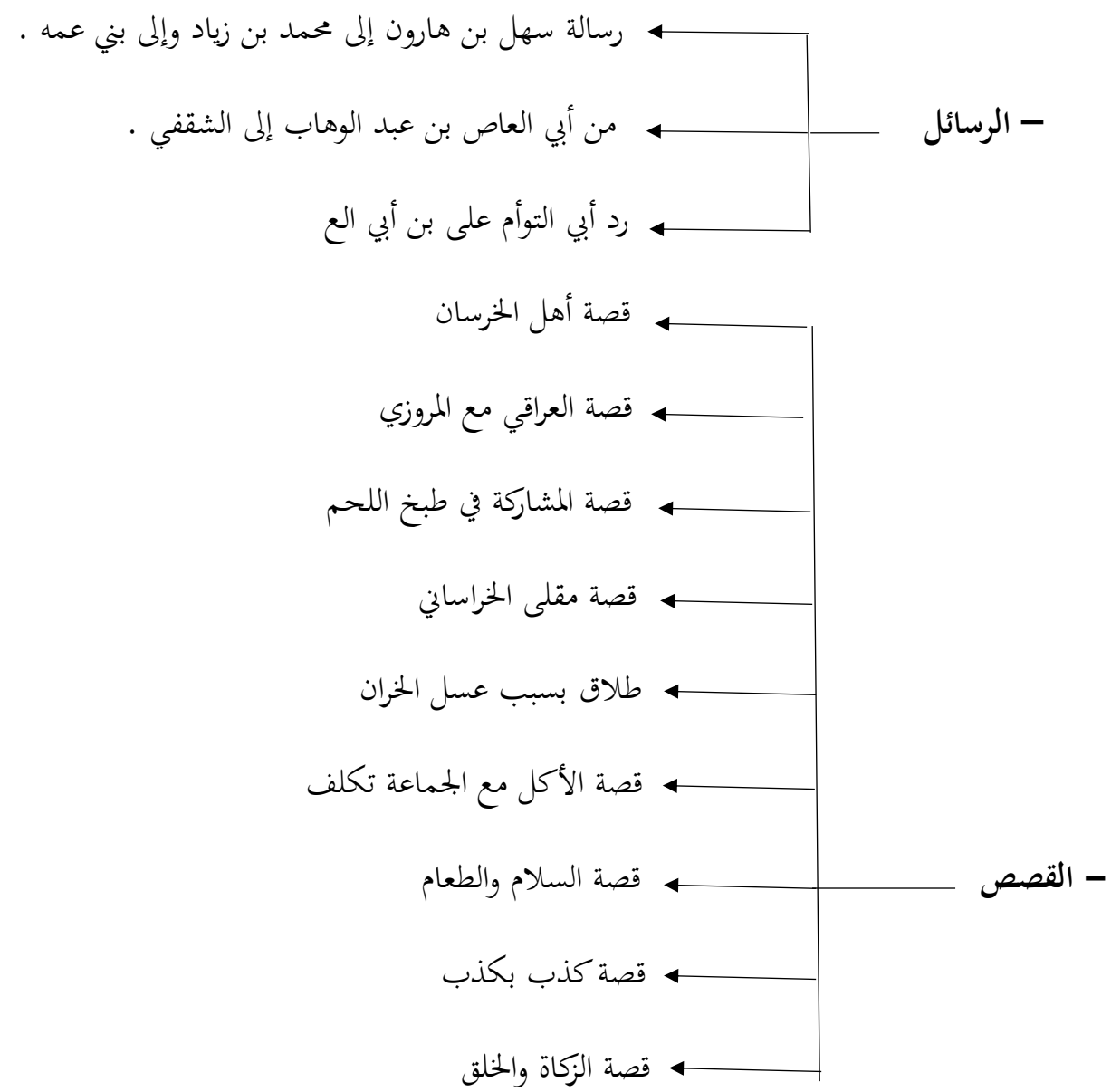

[1] – محمد الخطابي ، لسانيات النص مدخل إلى إنسجام الخطاب ، ص 53 .

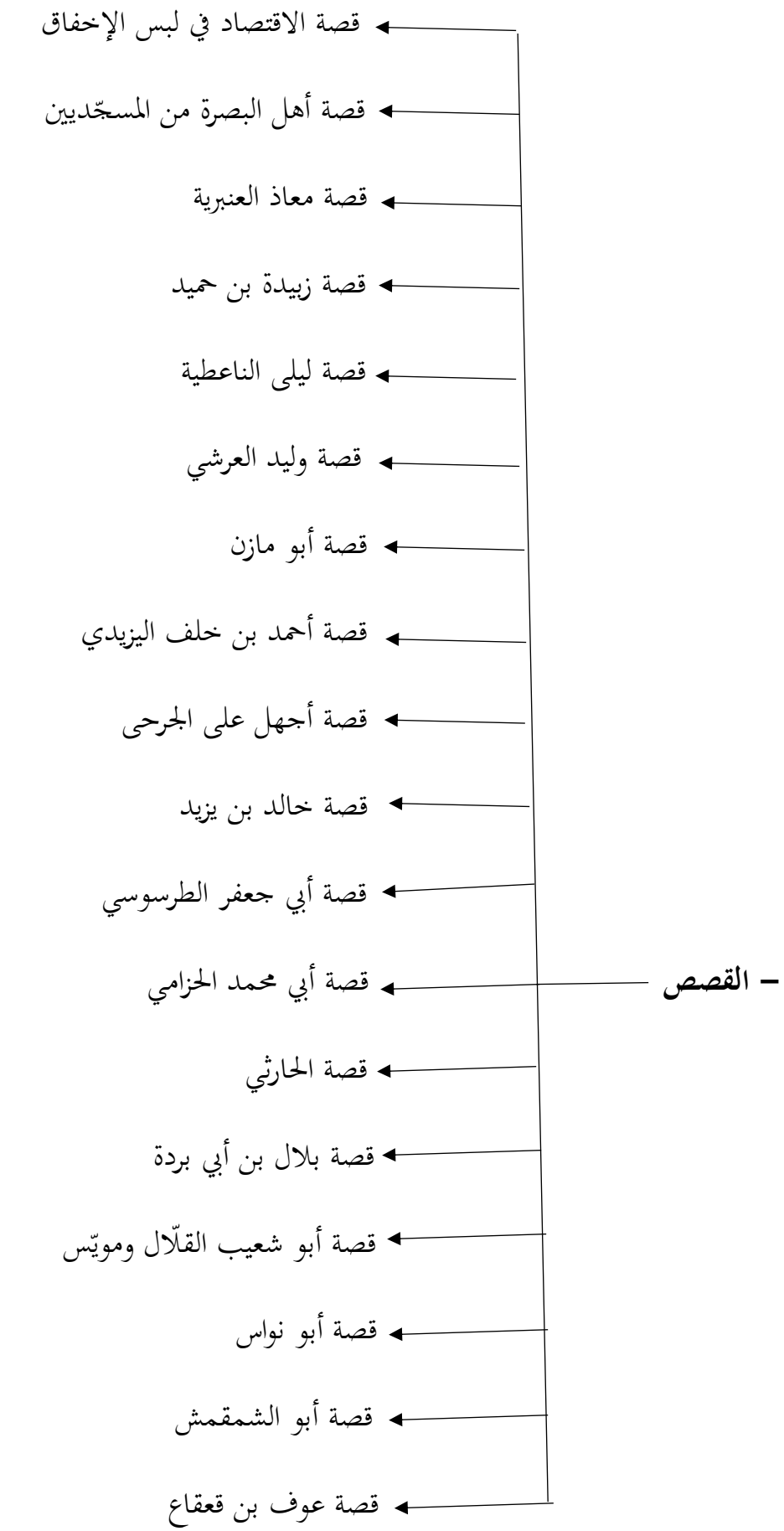
– القصص
قصة الاقتصاد في لبس الإخفاق
قصة أهل البصرة من المسجّديين
قصة معاذ العنبرية
قصة زبيدة بن حميد
قصة ليلى الناعطية
قصة وليد العرشي
قصة أبو مازن
قصة أحمد بن خلف اليزيدي
قصة أجهل على الجرحى
قصة خالد بن يزيد
قصة أبي جعفر الطرسوسي
قصة أبي محمد الحزامي
قصة الحارثي
قصة بلال بن أبي بردة
قصة أبو شعيب القلّال ومويّس
قصة أبو نواس
قصة أبو الشمقمش
قصة عوف بن قعقاع

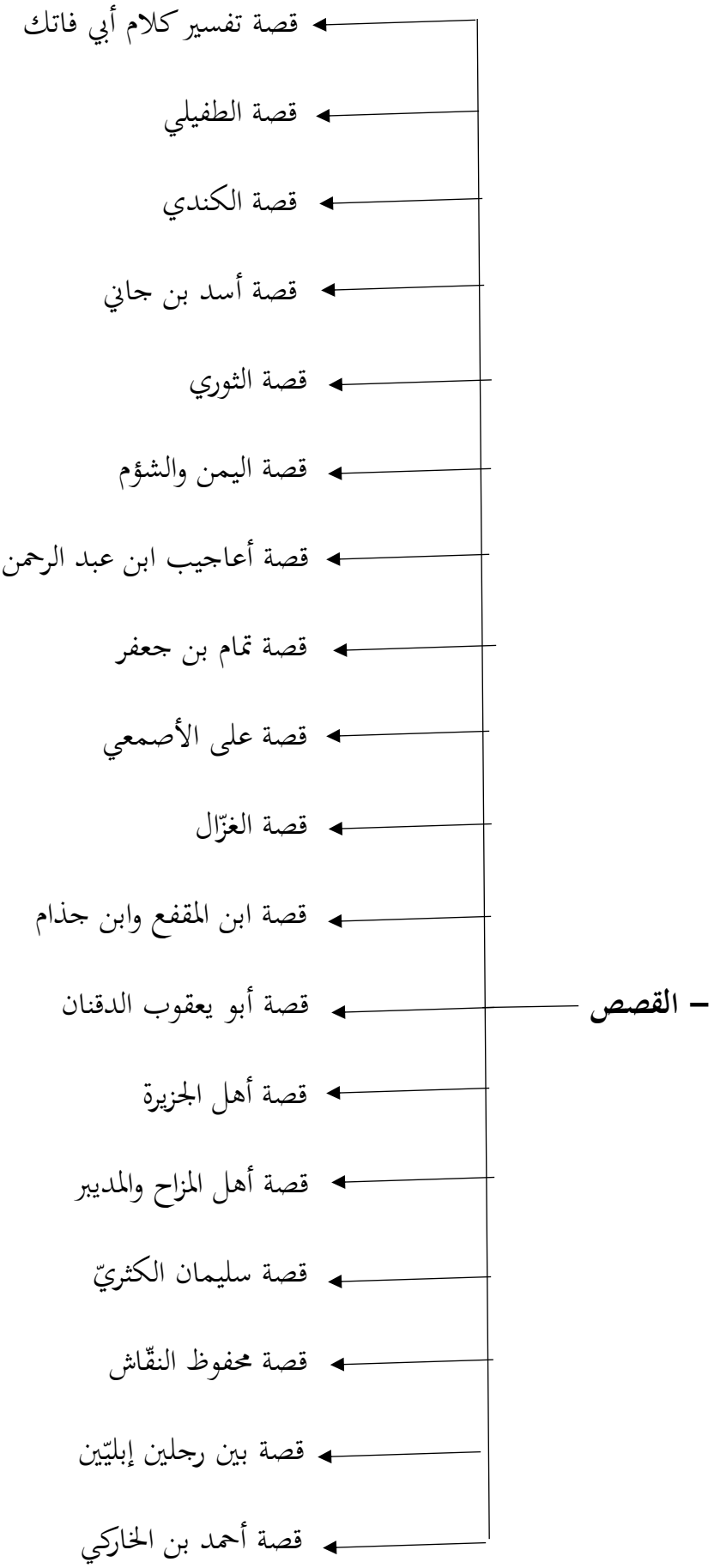
– القصص
قصة تفسير كلام أبي فاتك
قصة الطفيلي
قصة الكندي
قصة أسد بن جاني
قصة الثوري
قصة اليمن والشؤم
قصة أعاجيب ابن عبد الرحمن
قصة تمام بن جعفر
قصة على الأصمعي
قصة الغزّال
قصة ابن المقفع وابن جذام
قصة أبو يعقوب الدقنان
قصة أهل الجزيرة
قصة أهل المزاح والمديبر
قصة سليمان الكثريّ
قصة محفوظ النقّاش
قصة بين رجلين إبليّين
قصة أحمد بن الخاركي

قصة غلام صالح بن عفان
قصة ابن العقدي
قصة إسماعيل بن غزوان
قصة أبو هذيل
قصة أبو سعيد المدائني
قصة الأصمعي
قصة صاحب الثريدة
قصة الزنجيّ والأصبهاني والتمر
قصة ثمامة وقاسم التّمار
قصة عبد النور
قصة الأصمعي وجلساؤه
قصة علم العرب في الطعام
– القصص
الحمار والماء الأجاج
مريم الصناع
درهم على درهم
ماء النخالة
الحرّاق والقداحة والعرجون
– النوادر

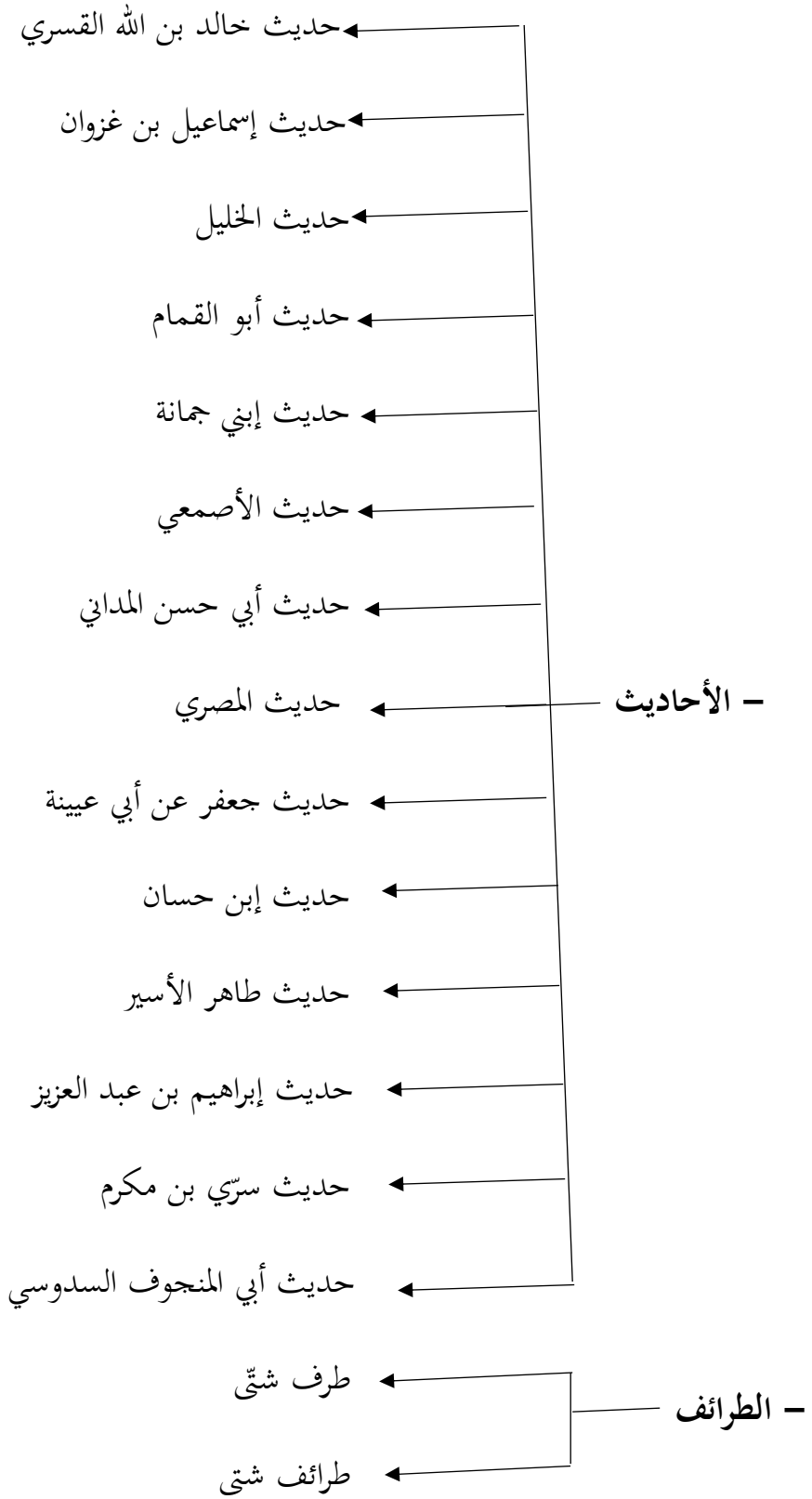

– **الوصايا** : نجد وصية واحدة ← وصية البخل.

فالطابع الغالب كما هو واضح فهو الجانب القصصي .

فالطرفة والنادرة ، لا يبدو أن المعاجم الأدبية تفصل بينهما وقد جاء فيها " **بأن ... النادرة والطرفة وهو [كذا] القول البليغ الميز للانتباه يتميز بالجدة والطرافة ، وإظهار البراعة في التفكير والقدرة على تسلية القارئ أو السامع والترفيه عنه** " [1]

وعلى ذلك ، تعلق الطرفة على الذي يتسم بالجدة ، والنادرة على الذي يسقط عن أشباهه ويشذ عنها وعند **جبور عبد النور** تأتي الطرفة بمعنى : النادرة ، الملحمة ، النكتة ، وهي حكاية صغيرة تبعث على الانشراح لفكاهتها أو غرابتها [2]

وبهذا تلتقي كل من الطرفة والنادرة عند (الضحك ، التهكم ، السخرية ، ونجد أن هذه المدونة – البخلاء – عبارة عن مجموعة من أقاصيص البخلاء ، وإن كثيرا من عناوينه يبدأ بكلمة (القصة) لذلك نجد في مقدمة الكتاب عبارات تحيل إلى إبداعه القصصي .

– " وعمد الجاحظ أيضا إلى ذكر نوادر البخلاء وسرد قصصهم "

– " ولم تكن أقاصيص الجاحظ خاوية فارغة "

– ولم تجر أقاصيصه على وتيرة واحدة "[3]

لذلك يبقى الكتاب كتاب قصة بالدرجة الأولى ، فالقصص لقصرها وكثافتها وإشتمالها أحداث وشخصيات وأزمنة وأمكنة ، فيمكننا أن نقول أن الكتاب تتجلى فيه الفنية العالية المنبثقة من قريحة الجاحظ ، وكان هو أول من توجه بالكتابة الفنية هذه الوجهة وهذه الفنية جعلت الكتاب يحتمل قراءات متعددة يطلقون على قصصه أسماء مختلفة كالنادرة والطرفة ... إلخ .

[1] – مجدي وهبه ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، (د.ط) ، لبنان ، مكتبة لبنان ، 2010 ، ص 383 .

[2] – جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، ط2 ، بيروت – لبنان ، دار العلم للملايين ، 1984 ، ص 165 .

[3] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص (10 – 12) .

5 – الزمان :

إن المفهوم الشائع كلمة " **زمان** " هو ما يذكر في الكلام لبيان زمن الحدث ولحظة وقوعه .

وللزمن علاقة وطيدة بالسياق ، فهي : « **المرجع ولهذا يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قوليا في مرحلة أولى ، وتربط كذلك بين الفعل والفاعل لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية** »[1]

فأما عن الإطار الزماني العام للمدونة ،وهو العصر الذي عاش فيه " الجاحظ " وهو العصر العباسي ، وهذا الأخير ذو ثورة شاملة في تاريخ المجتمع الإسلامي ، حيث كانت الثورة العباسية نقطة تحول مهمة في تاريخ المجتمع الإسلامي مع ما تتج عنها من تغيير جذري في هذا المجتمع لازمه طوال العصر العباسي .[2]

حيث أتم بثروة فكرية عارمة تمثلت فب الدراسات والعلوم والآداب إنتشار الجمّة التي ظهرت في مرحلة ذهبية ، والملاحظ أن هذا العصر كان غنيا بالأدباء والشعراء وعرف بالعصر الذهبي ، فإن ذهبية تلك رضّعت بولادة رجل كبير استطاع أن يشكل قفزة واسعة في ميادين الأدب واللغة والاجتماع والتأليف والكتابة ألا وهو الجاحظ [3]

فلقد عاش في هذا العصر الثاني ، القرن الهجري الثاني والثالث منذ عهد المعتصم ، وبعد المتوكل فيكون قد تقلب في الجوّ الذي تركه الرشيد والبرامكة ، إلى الجوّ الذي حكم فيه الواثق العقلاني الثقفي، والمعتصم الأيد القوي ، وهو عهد انحسرت فيه موجة المهيضة العربية ، وخلال النوايا الفارسية فلقد عاش الجاحظ في عهد الخلافة المزدهرة ، وعهد القصة في الحضارة الإسلامية [4]

وأما الزمن الخاص فيحدده بوقت وقوع الحادثة ، كالليل أو وقت الغروب ومن الإشاريات الزمانية :

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، ص 83 .

[2] – محمد سهيل طقوش ، تاريخ الدولة العباسية ، ط7 ، بيروت ، دار النفائس ، 2009 ، ص 7 .

[3] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص 5 .

[4] – علي شليق ، الجاحظ ، ص 33.

– « **وما اختيار شراء الرؤوس يوم السبت ، فإن القصّابين يذبحون يوم الجمعة** ».[1]

– «**فإن اللحم في الصيف أرخص والرؤوس تابعة للحم ، ولأن الناس في الشتاء لها آكل**» [2]

ولقد وردت هذه الإشاريات " **أعاجيب إبن عبد الرحمن** " ومن أمثلتها أيضا :

« **صجني محفوظ النقاش من مسجد الجامع ليلا** »[3].

وهناك عبارات أخرى : **كالعشاء ، العصر ، النهار ، صباحا ...إلخ.**

6 – المكان :

عرف المعجميون والمفسرون المكان بمعان متقاربة : « **فرأى بعضهم أن المكان يعني الموضع ورأى آخرون أن المكان موضع الكينونة ورأى غيرهم أنه موضع الاستقرار** ».[4]

فالمكان هو الموضع الذي يولد ، يحدث ، ويخلق ويوجد فيه الإنسان وهو الموضع الذي يستقر فيه والذي يعيش فيه ويتطور فيه إذ ينتقل من حال إلى آخر ، وما ينطبق على تطور حياة الإنسان ينطبق على حياة الجماعات والأمم .[5]

فأما الإطار المكاني العام للجاحظ في كتاب " البخلاء " ظهور البعد الجغرافي المتمثل بمدينة البصرة أو بغداد أو خراسان ، والبصرة هي ثالث أكبر مدينة في جمهورية العراق وهي المركز الإداري والسياسي لمحافظة البصرة تقع في أقصى جنوب العراق على الضفة الغربية لشط العرب وهو المعبر المائي الأول في العراق .

[1] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص 151 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 151 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 165 .

[4] – ناصر عقيل أحمد الزمول ، إنما المكان والزمان في القرآن الكريم ، دراسة صرفية دلالية ، ط1 ، الأردن ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، 2006 ، ص 09 .

[5] – باديس فوغالي ، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، ط1 ، الأردن ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، 2008 ، ص 170 .

- **السياق التداولي في رسالة سهل بن هارون :**

1 – المرسل :

كما سبق وأن أشرنا بأن المرسل العام لكتاب البخلاء هو الجاحظ باعتباره هو الراوي لمجموعة القصص التي احتواها الكتاب وصاحبه؛ أما المرسل الخاص في هذه الرسالة التي بين أيدينا هو سهل بن هارون وذلك بالعودة دائما إلى ما يسمى بقضية التأطير اسمه سهل بن هارون بن راهبوني ، كنّي بأبو عمرو [1] ، فهو كاتب و أديب، يتمتع بذكاء خارق، وشخصية ذات مكانه في مجتمعه وعصره يخدع ويخادع ، ويبعث بسراب الحقيقة يجعل الحق باطلا والباطل حقا [2] ، قيل أنه من دستنيمسان (صحراء ميسان) بين البصرة وواسط والأهواز ، وقيل أنه من ميسان ، وهي قرية في سيمسيان وواسط والأهواز ، وقيل أنه من ميسان ، وهي قرية في سيمسيان وقال آخرون أنه من أهل نيسابور ، سهل من الرجال القلائل الذين جمعوا بين العلم والأدب والسياسة ، والثقافة العالمية فغدا ذا مكانة رفيعة عند الخلفاء العباسيين لا سيّما المأمون .

كان سهل شعوبي المذهب ، شديد العصبية على العرب ، وحاول إبراز ذلك في معظم كتاباته [3] وخير دليل على ذلك رسالته الطويلة هذه التي مذح فيها البخل و ردّ على أبناء عمومته ممن ذموا منهجه فيه ، وتتبعوا كلامه في الكتب .

فالمرسل الخاص إذن في هاته الرسالة هو سهل بن هارون فاسمه كان في بداية الرسالة التي جاءت بعنوان : "**رسالة سهل بن هارون** "[4]

---

[1] – ياقوت الحموي الرومي ، معجم الأدباء ، ط1 ، تح : إحسان عباس ، بيروت ، لبنان ، دار الغرب الإسلامي ، 1993م ، ج3 ، ص 1904 ،

[2] – علي شلق ، الجاحظ ، ص 85 .

[3] – [1]محمود محمد سليمان ، فن الرسائل عند سهل بن هارون وعمرو بن مسعدة (دراسة موضوعية فنية موازنة) ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا في اللغة العربية وأدابها ، نابلسي ، فلسطين ، 2011م ، ص (4 ، 5) .

[4] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص 27 .

2 – المرسل إليه :

فالمرسل إليه العام في كتاب البخلاء –كما ذكرنا سابقا – هو أحد الشخصيات الثلاثة التي أراد الجاحظ التستر عليها وعدم البوح باسمها، و كذلك الكتاب هو موجه لكل المتلقين والقراء في أي مكان وزمان.

أما المرسل إليه الخاص في هاته الرسالة التي بين أيدينا هم :

1 – المرسل إليه الأول هو : محمد بن زياد فقد جاء اسمه بصيغة المفرد

2 – أما المرسل إليه الثاني هم: أبناء عمومه من آل زياد [1] ، وهذا ما نجده في بداية الرسالة .

رسالة سهل بن هارون 1) – إلى محمد بن زياد ، 2) – وإلى بنى عمه من آل زياد[2]

غير أن وعند الدخول إلى صلب الرسالة نجد أن كلا من المرسل والمرسل إليه قد تغير ويظهر ذلك عندما بدأ سهل بن هارون رسالته بعد البسملة والدعاء والاستشهاد بقول الأحنف بن قيس حيث قال الأحنف بن قيس: " **يا معشر بني تميم ، لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال ، أقلهم حياء من الفرار**" . فالمرسل هنا بعدما كان سهل بن هارون أصبح الأحنف بن قيس الذي هو حكيم بني تميم وسيدهم[3] .

أما المرسل إليه فهم بني تميم فالأحنف في هذا القول أراد تحذير بني تميم من الإسراع إلى الفتنة لأن أسرع الناس إلى القتال أقل حياء من الفرار إلا أن المرسل الحقيقي للرسالة هو سهل بن هارون ودليل ذلك من الكتاب أنه في كل مرة كان يعيد لفضة " **عبتموني ، وعبتم** " [4]

[1] – المصدر السابق ، ص 27 .
[2] – المصدر نفسه ، ص 27 .
[3] – المصدر نفسه ، ص 27 .
[4] – المصدر نفسه ، ص 27 .

وكذلك ، عبارة " **قلت لكم** "[1] والتي تكررت عدة مرات في الرسالة وهي خير دليل على أنها تحمل في طياتها معاني اللوم والعتاب والرد على بني عنه وتقديم لهم تفسيرا لمنهجه في البخل

3 – الرسالة :

فالموضوع العام للرسالة هو البخل ؛ أما الموضوع الخاص في هاته الرسالة فإننا نجد أن سهل بن هارون قد بعث بهذه الرسالة إلى محمد بن زياد وإلى بنى عمه من آل زياد : " **حين ذموا مذهبه في البخل وتتبعوا كلامه في الكتب** "[2] فقد عبر فيها عن أفكاره وتوجهاته وعن رأيه في موضوع البخل ، وقد تمثل موضوع الرسالة في سعي سهل بن هارون في الدفاع عن مذهبه الاقتصادي ، وترويجه لفضائل سياسة البخل ومعيشة البخلاء فهو مدح البخل، وذم الإسراف والتفريط، ودعا إلى الاقتصاد وقد أراد منها الرّد على أبناء عمّه الذين ذموا مذهبه في البخل .

وبتعدد أغراض محتوى الرسالة التي تنوعت : بين المدح والفخر والعتاب واللوم ... وغيرها ، استخدم سهل بن هارون استراتيجيات مختلفة مما يساعده على إيصال مقاصده المختلفة للمتلقين (محمد بن زياد وبني عمه)، فمن الاستراتيجيات الموظفة في الرسالة نجد :

– **الإستراتيجية التلميحية** : فقد تجسدت في بعض المواضع من الرسالة نذكر منها :

وعبتموني حين ختمت على سدّ عظيم، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفسية ومن رطبه غريبة على عبد نهم ، وصبي جشع ، وأمة لكعاء ، وزوجة خرقاء ، وليس من أصل الأدب ، ولا في ترتيب الحكم ، ولا في عادات القادة ولا في تدبير السادة ، أن يستوي في نفيس المأكول ، وغريب المشروب وثمين الملبوس ، وخطير المركوب ، والناعم من كل فن ، واللباب من كل شكل التابع والمتبوع ، والسيد والمسود ، كما لا تستوى مواضعهم في المجلس ومواقع أسمائهم في العنوانات ، وما يستقبلون به من التحيات وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر ، ولا

[1] – المصدر السابق، ص 27 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 27 .

يكثرون له اكتراث العارف ؟ من شاء أطعم كلبه الدجاج المسّمن ، وأعلف حماره السمسم المقشّر ![1].

فقوله : من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمن ، و أعلف حماره السمسم المقشر ! فسهل بن هارون يبرز من خلالها شرف البخل الذي هو دليل على الحكمة وحسن التدبير والدليل إطعام الكلب أجود الدجاج ، وإطعام الحمار أجود سمسم ، وهو بهذا يبرر إخفاء الفاكهة النادرة عن أهله الذين لا يستحقون أكلها .

أما بالنسبة **للإستراتيجية التضامنية** نجد أن هناك علاقة قرابة بين طرفي الخطاب وهذا بالنظر إلى تقارب المقام بين المترسلين (**المرسل**) **سهل بن هارون ، مع المرسل إليه** (**محمد آل زياد وأبناء عمومته**) ، ففي هاته الرسالة نجد سهل بن هارون يسعى للدفاع عن مذهبه الاقتصادي ، وترويجه لفضائل سياسة البخل ، ومعيشة البخلاء فوظف أسماء الأعلام في رسالته ليستشهد بكلامهم وموقفهم في البخل منهم :

(**النبي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الأحنف بن قيس ، عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الحسن البصري ، طلحة الفياض ، معاوية ، زيد بن جبلة ، محمد بن زياد ، أبو بكر الصديق ، أبو الأسود الدؤلي ، يحي بن خالد ، الحضين بن المنذر** ...)[2] وكذلك ألفاظ التحية نجدها في نهاية الرسالة في " **فلستم عليّ تردّون ولا رأيي تنفدون فقدموا النظر قبل العزم وتذكروا ما عليكم قبل أن تذكروا مالكم . والسلام** " [3]

وبإعتبار أن سهل بن هارون هو الشخصية البارزة في الرسالة ، فقد عدّ نفسه من خلال توظيفه لضمير المتكلم الرسول الذي عليه إيصال رسالة إلى أبناء عمومته بل وللقراء جميعا ، وهي تدعو إلى البعد عن الإسراف والتبذير والدعوة إلى الإقتصاد والبخل ومن هذه الإشاريات الشخصية التي تعود

[1] –المصدر السابق، ص 29 .

[2] – المصدر نفسه، ص (27 – 34) .

[3] – المصدر نفسه ، ص 35 .

على المرسل نجد (**ختمت ، قلت ، زعمت ، دعّيت ، رغبت** ...)[1] وهي ضمائر متصلة المتمثلة في التاء المتكلم .

بما أن الموضوع الرئيسي في رسالة سهل بن هارون هو الرّد على أبناء عمومته ممن ذموا منهجه في البخل فقد وظف أيضا الإشاريات الشخصية التي تمثلت معظمها في الضمائر المتصلة منها : **أمركم ، شملكم ، عليكم ، فسادكم ، إرشادكم ، بينكم ، أنتم ، أخفكم ، هدايتكم** ...)[2]فهي تعود على المرسل إليه أبناء عمومته في محاولة منه لإقناعهم بوجهة نظره والدفاع عن فكرة البخل وجعلها بمثابة نهج في حياته وأخذها على عاتقه وأراد إيصالها لهم وهم الذين لطالما عابوا عليه ذلك ، كما وظف الكنية أيضا منها :

– أبو الدرداء ، كنية .

– إضافة إلى الإستراتيجية التوجيهية التي تتجسد في رسالة من خلال استخدام سهل بن هارون بعضا من الأساليب الإنشائية (الأمر ، النهي ، والاستفهام ، النداء ، والتحذير ، والإغراء ...)

فمن النهي نجد قول **الأحنف بن قيس : " يا معشر بني تميم ، لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال . أقلهم حياء من الفرار** [3] فالكاتب هنا هدفه النصح والإرشاد ، كما تحمل هذه العبارة أيضا أسلوب نداء في الوقت نفسه : " **يا معشر بني تميم** " [4] فهو يخاطب بني تميم ويحثهم على ترك الفتنة والفساد ، على اعتبار الإسراف والفساد كلاهما فتنة ، وكذلك النهي في : **لا يغترن أحد بطول عمره ، وتقوس ظهره ، ورقة عظمه ، ووهن قوته ، أن يرى أكرومته ولا يخرجه ذلك إلى إخراج ماله من يده وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط**

[1] – المصدر السابق ، ص (27 – 34) .
[2] – المصدر نفسه، ص (27 – 34) .
[3] – المصدر نفسه ، ص 27 .
[4] – المصدر نفسه ، ص 27 .

الشهوات عليه [1] ومن خلال قوله : " لا يغترن ، غرضه الوعظ والنصح ، فسهل بن هارون في هذا الموضع يوجه خطابه إلى أبناء عمه محاولة منه إقناعهم وتأثير فيهم ، وذلك تحسين القبيح وهو البخل، ونجد الأمر كذلك في قوله : **عبتموني بقولي لخادمي : أجيدي ضميرا كما أجدته فطيرا ، ليكون أطيب لطعمه ، وأزيد في ريعه ، وقد قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه ورحمه ، لأهله : أملكوا العجين ، فإنه أربع الطحين** [2].

فعبارة "**أجيدي عجنة** " يقصد بها سهل بن هارون يقصد بها سهل بن هارون عندما خاطب خادمه حتي يؤول أمره إلى خمير متضاعف حجمه وغرضه النصح والتوجيه ، فالبخل هنا نجده حريص على الزيادة والنماء في كل شيء حتى في الطعام ، فالكثرة هي غايته ، وقول **عمر بن الخطاب** أيضا : فهو كذلك أمر أهله في :"**أملكوا العجين فإنه أربع الطحين** " وغرضه النصح والإرشاد في إتقان العجن حتى يتضاعف الطعام .

بما أن سهل بن هارون في هاته الرسالة في مقام الدفاع عن موقفه ومنهجه في البخل ساعده ذلك علي توظيف **الإستراتيجية الإقناعية (الحجاجية)** . فقد تمثلت في الاستشهاد ببعض الأقوال سواء أكانت أقوال الرسول والصحابة أو أقوال شخصيات معروفة بعلمها ودينها حتي يدعم فكرته وموقفه ومنهجه في البخل . فقد بدأ سهل بن هارون رسالته بقول **الأحنف بن قيس ، يا معتز بني تميم ، لا تسرعوا إلى القتال ، أقلّهم حياء من الفرار** [3] فهو هنا ينادي قوم بني تميم وينهاهم عن الفتنة بما ستخلفه من فساد ودمار .

وكذلك قوله :

[1] – المصدر السابق ، ص 31 .

[2] – المصدر نفسه ، ص28 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 27 .

عبتموني بقولي لخادمي : أجيدي عجنة خميرا كما أجدته فطيرا ، ليكون أطيب لطعمه ، وأزيد في ريعه ، وقد قال عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه ورحمه ، لأهله : أملكوا العجين ، فإنه أربع الطحنين .[1]

فهنا يقصد أن الإجادة والإتقان في العجينة تكون نتيجتها خميرا وفطيرا بكثره ، ويستشهد بقول عمر رضي الله عنه بأنه هو أيضا أمر أهله بإجادة العجين **وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ، ويرتع ثوبه ، ولطع إصبعه ، ويقول : لو أتيت بذراع لأكلت ، ولو دعيت إلى كراع لأجبت .** [2]

ويريد من ورائها سهل بن هارون الاحتجاج بأن حتى الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرفع النعال ، ويبطن القميص وأنه إذ دعي إلى الطعام فهو لا يرفض الدعوة أي أن كل هذه الصفات ليس عيبا لأنها صفات حتى رسول الله كان يقوم بها .

4 – شكل الرسالة :

الرسالة جاءت عبارة عن نص مكتوب يندرج ضمن الرسائل الإخوانية وهذا بالنظر إلى تقارب مقام المترسلين سهل بن هارون (المرسل) والمرسل إليه (محمد بن زياد وأبناء عمومته) إضافة إلى مضمون الرسالة .

فالشكل العام للرسالة – كما ذكرنا سابقا – أن كتاب البخلاء جاء عبارة عن مجموعة من القصص والنوادر والطرف والأحاديث والوصايا يرويها الجاحظ على لسان من حوله وممن حكوا له في مجتمعه عن قصص البخل والبخلاء ، أما الشكل الخاص لرسالة فهي عبارة عن قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه واسلوبه إضافة إلى موضوع الرسالة ومضمونها ؛[3] كما تعرف أيضا

---

[1] – المصدر السابق، ص 28.

[2] – المصدر نفسه، ص 30 .

[3] – فهد خليل زايد ، الكتابة فنونها وأفنانها ، ط 1 ، عمان الأردن ، دار يافا العلمية ، 2013م ، ص 24 .

بأنها كل ما يرسل من شخص إلى آخر مشافهة أو كتابة في موضوع من الموضوعات العامة أو خاصة وفق لهوية المرسل إليه وطبيعة العلاقة بينهما [1].

حيث تندرج هذه الرسالة التي بين أيدينا ضمن الرسائل الإخوانية حيث تدور مواضع هذا النوع من الرسائل حول الصداقة أي التي ترسل بين الأشخاص كالمودة و الإخاء والتهادي والاعتذار والعتاب[2].

وهذا الأخير الذي نجده في رسالة سهل بن هارون التي أرسلها إلى بني عمومته يعبر فيها عن أفكاره وتوجيهاته وعن رأيه في موضوع البخل وسعيه للدفاع عن سياسته فيه ومعيشة البخلاء وذم فيه الإسراف والتبذير.

أما بالنسبة للمنهجية العامة للرسالة فنجد أن سهل بن هارون لم يخالفها حيث افتتح رسالته بالبسملة والدعاء، ثم الاستشهاد ثم دخل إلى صلب موضوعه، كما ختمها بالتحية، فالرسالة جاءت على النحو التالي :

البسملة : " بسم الله الرحمن الرحيم "[3]

أما الدعاء :فجاء على النحو التالي :

« **أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله** »[4]

أما الاستشهاد فكان بقول الأحنف بن قيس :

---

[1] – مصطفي محمد الفار ، دراسات أدبية ونقدية في الفنون النثرية ، ط 1 ،عمان ، الأردن ، دار الفكر ، 2009م ، ص 42 .

[2] – فوزي عيسى ، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي ، (د.ط) ، الإسكندرية ، مصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2002 ، ص 164 .

[3] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص 27 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 27 .

« **يا معتز بني تميم ، لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإذ أسرع الناس إلى القتال ، أقلهم حياء من الفرار ...** »[1]

ثم بدأ موضوعه بلفظة " عبتموني " التي تكررت عدة مرات في الرسالة أراد من خلالها سهل بن هارون الرد على بني عمومته الذين عابوا عليه مذهبه في البخل وتتبعوا كلامه في الكتب ، فجاءت رسالته لإقناعهم بخطئهم التمثل في نظرتهم للمال .

ثم ختم رسالته بنصيحة وتحية، فكانت على النحو الآتي :

" **فلستم عليّ تردون ولا رأى تفندون ، فقدموا النظر قبل العزم وتذكروا ما عليكم قبل أن تذكروا مالكم ، والسلام** ."[2]

5 – الزمان :

يقسم الإطار الزماني إلى العام : وهو العصر الذي عاش فيه الجاحظ وهو العصر العباسي الثاني وهو كذلك زمن تأليف الكتاب؛ أما الإطار الزماني الخاص فيحده وقت وزمن وقوع الحادثة فسهل بن هارون في رسالته هاته لم يذكر زمن كتابتها بل اكتفى بذكر بعض الإشاريات الزمانية منها:

يومنا ، ساعته ، الليل ، يوما ، اليوم ، غدا .[3]

6 – المكان :

يقسم المكان إلى الإطار المكاني العام والمتمثل في مدنية البصرة أو بغداد أو خرسان وغيرها وهي أماكن وقوع القصص والحكايات في كتاب البخلاء ككل؛ أما الإطار المكاني الخاص وهو مكان وقوع

---

[1] – المصدر السابق، ص 27 .

[2] – المصدر نفسه، ص 35 .

3)- المصدر نفسه ، ص (30 – 34) .

الأحداث فنجد أن سهل بن هارون لم يحدد مكان بني عمومته بل اكتفى بذكر بعض الألفاظ الدالة على المكان منها :**المجلس، البحر**.[1]

- **السياق التداولي في قصة جبل وأبو مازن :**

1 – المرسل :

إن المرسل العام لكتاب البخلاء هو الجاحظ –كما أشرنا إليه سابقا –؛ أما المرسل الخاص فيختلف باختلاف القصة التي نريد دراستها، فقصة "**جبل وأبو مازن** " نجد أن المرسل هو **جبل** فالجاحظ هنا أراد أن يقدم لنا نوع آخر من البخل وهو البخل في جانبه المعنوي والمتمثل في الرفض في مدّ يد العون ومساعدة الآخرين والذي جسده أبو مازن ، فالجاحظ هنا قدم لنا تصويرا نفسيا لمشاعر شخصية ((جبل)) الذي يخشي قطاع الطرق واللصوص والعسس ويبحث عن مأوى آمن يبت فيه[2] ، حيث بدأ بقوله : **لو دققت الباب على أبي مازن، فبتّ عنده في أدنى بيت أو في دهليزه ولم ألزمه من مؤنتي شيئا، حتى إذا انصدع عمود الصبح خرجت في أوائل المدلجين**.[3] ، لكن بتبادل أطراف الحديث والحوار بين الشخصيتين داخل القصة – بين جبل وأبو مازن – يكون أبو مازن هو أيضا المرسل مثال في قوله : **قال أبو مازن (وأرخى عينه وفكيه ولسانه) ثم قال** : « **سكران ، والله، أنا سكران، لا والله ما أعقل أين أنا والله ما أفهم ما تقول** ».[4]

2 – المرسل إليه :

---

1)–المصدر السابق، ص (29 – 32) .

2) – عبد الواحد التهامي العلمي ، قراءة السرد العربي القديم بين وهم المماثلة ومبدأ المغايرة (دراسة في بعض النماذج) ، مجلة عالم الفكر ، العدد 1 ، (د.ب) ، 2012م ، ص 80 .

3) – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص (65 ، 66) ،

4) – المصدر نفسه ، ص 66 .

إن المرسل إليه العام في كتاب البخلاء هو أحد الشخصيات الثلاثة التي لم يصرح الجاحظ بإسمه وكذلك لكل القراء في كل زمان ومكان ؛أما المرسل إليه الخاص في قصة "**جبل أبو مازن** "[1] وهو أبو مازن الذي قدمه لنا الجاحظ في شكل كاريكاتوري رائع، حيث صور لنا شخصية أبو مازن الذي كان بارعا في اصطناع البلاهة والسذاجة والتظاهر بالسكر المفرط للتخلص من الموقف المحرج الذي وقع فيه[2] ، بعدما قصده جبل لمبيت في منزله فكان بذلك المرسل إليه في هاته القصة هو أبو مازن ومثال ذلك في قول جبل : **فلما فتح الباب ونظر لجبل، أبصر الموت. فلما رآه جبل واجما لا يجير كلمة، قال له : إني خفت معرّة العسس وخوف أحد يضرني أو يتبعني فملت إليك لأبيت عندك ، فتساكر أبو مازن، وأراه أن وجومه إنما كان بسبب السكر ، ففتح فاه وحرك لسانه**[3] .

فالمرسل هنا هو جبل والمرسل إليه أبو مازن ، إلا أنه بتبادل أطراف الحوار يتغير المرسل والمرسل إليه فنجد في هذا القول المرسل هو أبو مازن حين قال : " **سكران ، والله ، أنا والله سكران** " والمرسل إليه جبل .

3 – الرسالة :

نجد أن الجاحظ في كتاب البخلاء يسرد لنا مجموعة من القصص والمواقف التي تدور أحداثها حول موضوع البخل وحيل البخلاء فهو الموضوع العام للكتاب؛ أما الموضوع الخاص في هاته القصة التي بين أيدينا " **قصة جبل وأبو مازن** " [4] أراد من خلالها الجاحظ أن يبين لنا أن موضوع البخل قد خرج عن إطاره المادي المتمثل في البخل في الطعام والشراب إلى اطاره المعنوي وهذا ما وجدناه في قصتنا التي تدور أحداثها حول رفض أبو مازن من تقديم يد العون لجبل الذي قصد منزله آخر الليل لكي يبيت عنده لأنه كان يخاف العسس إلا أن أبو مازن قد وظف حيلة للإفلات من الموقف بأنه

---

[1] – المصدر السابق، ص 65 .

[2] – عبد الواحد التهامي العلمي ، قراءة السرد العربي القديم بين وهم المماثلة ومبدأ المغايرة (دراسة في بعض النماذج) ، ص 81 .

[3] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص 66 ،

[4] – المصدر نفسه، ص 65 ،

سكران وأغلق الباب في وجه أبو جبل رغم أنه كان يعلم بأن حيلته مكشوفة وهذا ما نجده في نهاية القصة في عبارة :

ثم أغلق الباب في وجهه، ودخل لا يشك أن عذره قد وضح وأنه قد ألطف النظر حتي وقع على هذه الحيلة .[1]

فمن الاستراتيجيات الخطابية التي وظفها الجاحظ في هذه القصة نجد **الإستراتيجية التلميحية** التي تتمظهر في قوله : **وكان جبل خرج ليلا من موضع كان فيه، فخاف العسس، ولم يأمن أحد يتبعه فيضره، فقال:** « **لو دققت الباب على الباب أبو مازن، فبتّ عنده في أدنى بيت أوفي دهليزه، وألزمه من مؤنتي شيئا حتى إذا انصدع عمود الصبح، خرجت في أوائل المدلجين** » **فدق عليه الباب دقّ واثق مدلّ ، ودقّ من يخاف أن يدركه العسس أو أحد يتبعه ، وفي قلبه من الخوف ما يزيد عن الكفاية فلم يشك أبو مازن أنه دقّ صاحب هدية ، فنزل سريعا .فلما فتح الباب ، ونظر لجبل ، أبصر الموت ، فلما رآه جبل واجما لا يحير كلمة** [2] .

فعبارة : **فلما فتح الباب ، ونظر بجبل ، نظر بملك الموت !**

فالجاحظ هنا يصور لنا حالة البخيل لما تفاجأ بقدوم الضيف (جبل) فكان قدومه صدمة لأبو مازن البخيل والمقتصد الذي يؤذيه وجود الضيف فهو أشد عليه وقعا من الموت ولتفادي هذا الموقف فكّر في حيلة تنجيه وتخرجه من هذا المأزق الذي وقع فيه " **ففتح فاه، وحرك لسانه وقال: سكران والله، أنا والله سكران** " [3] كأنه فاقد للوعي بسبب السّكر وهي حيلة أبو مازن للتخلص من جبل، والتي أصر على تمثيلها ببراعة واستمر في التظاهر بالسكر الى أخرى القصة، على الرغم من حالة جبل وخوفه على حياته، كما أنه لا يريد أن يكلف شيئا سوى النوم في إحدى داهيلزه والمغادرة في وقت

[1] – المصدر السابق، ص 66 .

[2] – المصدر نفسه، ص 66 .

[3] – المصدر نفسه، ص 66 .

مبكر في قوله: **إذا انصدع عمود الصبح ، خرجت في أوائل المدلجين** [1] وهي توحي بأن جبل يريد النوم فقط في بيت أبو مازن لا يطلب منه الطعام أو الشرب بل حمايته من الأخطار التي قد يتعرض لها في الليل أثناء توجهه إلى منزله .

أما الإستراتيجية التضامنية فنلمحها مثلا في توظيف الجاحظ في هذه القصة لأسماء الأعلام: **جبل، أبو مازن، لفظ جلالة الله** [2] ، وكذلك نجد الإشاريات منها الشخصية التي تتمثل هنا في بعض الضمائر نذكر منها: **ضمير المتكلم " أنا "** في قول أبو مازن : **وقال : " سكران، والله، أنا والله سكران "**[3] فضمير المتكلم " أنا " هنا يعود على أبو مازن وفي موضع آخر نجده كذلك في قوله : " سكران ، والله، أنا سكران، لا والله ما أعقل أين أنا، والله ما أفهم ما تقول "[4] ضمير يعود على المرسل المتكلم، سواء أكان المرسل جبل أو أبو مازن فعبارة **"وأن كما ترى ثمل من الشراب، شبعان من الطعام، ومن منزل فلان خرجت وهو أخصب الناس رحلا .وإنما أريد أن تدعني أغفي في دهليزك إغفاءه واحدة ، ثم أقوم في أوائل المبكرين "**[5] ؛ فنجد أن كل من ضميري أنا والتاء في فعل خرجت تعود هي الأخرة على المتكلم الذي كان هنا هاته العبارة جبل. كما يمكن أن نقول أن هناك علاقة صداقة بين طرفي عملية التواصل على اعتبار أن المرسل هو الجبل والمرسل إليه أبومازن لأن جبل اختار أبو مازن أن يبيت في منزله دون غيره من الأصدقاء .

اضافة إلى ذلك نجد أن الجاحظ في هاته القصة قد وظف **الإستراتيجية التوجهية** التي تمثلت في أسلوب الأمر في قول جبل :

---

[1] – المصدر السابق، ص 66 .

[2] – المصدر نفسه ، ص (65 ، 66) .

[3] – المصدر نفسه ، ص 66 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 66 .

[5] – المصدر نفسه، ص 66 .

" **كن كيف شئت** " [1]فبعد علمه بأن أبو مازن فاقد للوعي رد عليه جبل بأن حالته الجسمية والعقلية لا تعنيه فقط هو استقباله في منزله في هاته الليلة ثم يغادر في الصباح الباكر.

كما استخدم الجاحظ أساليب إقناعيه المتمثلة في **الإستراتيجية الحجاجية** في قول أبو مازن : **سكران الله ،أنا والله سكران** [2]،فقد استخدم أسلوب القسم ضنّا منه بأن جبل سوف يصدقه في الحيلة بأنه سكران وفاقد لوعي لولاّ ذلك لما استقبله وضيفة في بيته .

4-شكل الرسالة :

يندرج هذا النص الذي بين يدينا ضمن فن القصة القصيرة التي تعبر عن موقف أو لحظة معينة من الزمن ، في حياة الإنسان ويكون الهدف منها التعبير عن تجربة إنسانية تقنعها بإمكان وقوعها فهي تصوير حي لجانب من الحياة في ايجاز وتركيز. [3]

فقصة "جبل وأبو مازن "تدور أحداثها حول شخصية جبل الذي خاف ظلمة الليل وتعرض اللصوص له قصد منزل أبو مازن لكي يبت عنده غير أن هذا الأخير قد رسم حيلة بأنه فاقد الوعي بسبب سكره لتخلص من الورطة التي وقع فيها وتظاهر بسكره وأغلق الباب في وجه ضيفه (جبل) لأن حضور الضيف عنده بمثابة إبصاره للموت .

5 – الزمان :

يقسم الإطار الزماني إلى العام : وهو العصر الذي عاش فيه الجاحظ وهو العصر العباسي الثاني وهو زمن تأليف الكتاب أيضا ، أما الإطار الزماني الخاص فيحدده وقت وقوع الحادثة فقصة جبل وأبو

[1] – المصدر السابق، ص 66 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 66 .

[3] – عبد الله الركيبي ، القصة الجزائرية القصيرة ، (د.ط) ، (د.ب) ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، 2003م ، ص 133 .

مازن كان وقت وقوعها في الليل ، كما نجد أن الجاحظ قد وظف بعض الألفاظ الدالة على الزمن وهي : **ليلا ، الصبح ، الربيع ، الشتاء ، وصيف ، أيام** .[1]

6 – المكان :

يقسم المكان إلى الإطار المكاني العام والمتمثل في مدينة البصرة أو بغداد أو خرسان وهي أماكن وقوع القصة في كتاب البخلاء ككل ؛أما الإطار المكاني الخاص وهو مكان وقوع أحداث قصة جبل و أبومازن، في بداية القصة جرت الأحداث والحوار في الشارع إلا أن الجاحظ لم يوظف هذه اللفظ إلا أننا استطعنا استخلاصها من خلال استنطاق بعض المؤشرات مثل«:**لو دققت الباب على أبي مازن فبتّ عنده ،فدقّ عليه الباب دق واثق، فلما فتح الباب، ثم أغلق الباب في وجهه** »[2] فهي تدل على أن الحوار الذي كان بين الشخصيتين كان خارج المنزل ، إضافة إلى ذلك فقد وظف الجاحظ بعض الألفاظ تعبر عن المكان : **بيت ، دهليزة ، منزل** [3].

- **السياق التداولي في نادرة ماء النخالة :**

1 – المرسل :

لم يصرح الجاحظ في هذه النادرة باسم المرسل إلا أننا من خلال الحوار الذي دار فيها استطعنا استخراجه ، ففي بداية النادرة نجده ذكر عبارة " **ثم قال** " [4] : فهو لم يحدد اسم المرسل إما عمدا حتي يتجنب التجريح أو أنه لم يعلم حقا اسم شخصية، فالمرسل في بداية النادرة كان المريض لكن عندما بدأ يستشير قومه عن علاج لمرضه ، فباقتراح القوم أصبحوا هم المرسلين ويظهر ذلك في : " **فأمرني قوم بالفانيذ** " ، و " **أشار عليّ آخرون بالجزيرة** ،... ، إذ " **قال لي بعض الموفقين** "

---

[1] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص (65 ، 66) .

[2] – المصدر نفسه ، ص (65 ، 66) .

3)- المصدر نفسه ، ص 66 .

[4] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص 57 .

: **عليك بماء النخالة فأحسسه حارا "**[1] ، كما تعتبر العجوز أيضا هي الأخيرة المرسل عندما ردت على الشيخ المريض بعدما اقترح عليها أن تضع من النخالة غذاء لكل العائلة ، فخاطبته قائلة : **" أرجو أن يكون الله قد جمع لك بهذا السعال مصالح كثيرة ، لما فتح الله لك بهذه النخالة التي فيها صلاح بذلك ، وصلاح معاشك "**[2]، وفي آخر النادرة نجد أن القوم هم المرسلين عند ما ردوا على الشيخ المريض وأثنوا عليه وصدقوه في فكرته : " **قال القوم** : « **صدقت . مثل هذا يكتسب بالرأي ، ولا يكون إلا سماويا** »[3]

ومن هذا كله نلاحظ أن المرسل في هاته النادرة يختلف باختلاف الأدوار والحوار الذي يجرى بين طرفي الأقطاب العملية التواصلية فالمرسلون إذن هم : المرسل الرئيسي هو : الشيخ المريض ، ثم القوم ، وأخيرا العجوز .

2 – المرسل إليه :

كما سبق وأن أشرنا في المرسل إليه العام في كتاب البخلاء هو أحد الأعيان الذي لم يصرح الجاحظ بإسمائهم ، وكذلك لكل القراء في أي زمان ومكان .

أما المرسل إليه الخاص في هاته النادرة التي نحن بصدد دراستها فهو يختلف باختلاف مجريات الحوار ففي البداية نجد أن الشيخ المريض يستشير قومه لإيجاد حل لمرضه الذي تمثل في السعال فالمرسل إليه هنا هم القوم ، لأن المريض يخاطبهم ليقترحوا عليه دواء ، ثم بعد التداوي والشفاء اقترح أن يكون ماء النخالة غذاء للعيال ، فهو يخاطب العجوز باقتراحه وفكرته : **فقلت لعجوز** : « **لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة ؟ فإن ماءها جلاء للصدر وقوتها غداء وعصمة ، ثم تجففين ، بعد ، النخالة فتعود كما كانت ، فتبيعينه إذا اجتمع بمثل الثمن الأول ، ونكون قد ربحنا فضل ما بين**

[1] – المصدر السابق، ص 57 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 58 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 58 .

الحالتين »[1] وفي الأخير بعد تصديق القوم بفكرة الشيخ المريض وما للنخالة من فوائد ، يردون عليه ويبعثون له الثناء والتصديق . « **صدقتا . مثل هذا يكتسب بالرأي ، ولا يكون إلا سمويا**» .[2]

3 – الرسالة :

إن الموضوع العام للكتاب كما ذكرنا هو البخل والبخلاء ، فالجاحظ نجده يصور لنا حياة البخلاء ويتعمق في سلوكاتهم ونفسياتهم ويقدمهم لنا بنوع من السخرية والتهكم ، أما الموضوع الخاص في هاته النادرة – ماء النخالة – فهو البخل على النفس والأهل فهو نوع من أنواع البخل فالجاحظ نجده قدم لنا رسما دقيقا لنفسية البخيل الذي يتقن اختراع الأعذار والمبررات ليجعل من النخالة زادا وحيدا له ولعياله ويتجسد ذلك في قوله : " **لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة ؟ فإن ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمة ، ثم تجففين ، بعد النخالة ، فتعود كما كانت ، فتبيعينه إذ اجتمع بمثل الثمن الأول ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالتين** " [3]

فمن الإستراتيجيات الخطابية التي وظفها الجاحظ في هذه النادرة **الإستراتيجية التلميحية** في " **فبينا أنا أدافع الأيام** " [4] ، فالمريض استخدم هذه العبارة للتعبير عن مرضه الذي دام وقتا طويلا وهو قد كره الكلفة وينتظر الشفاء والعافية .

أما **الإستراتيجية التضامنية** وما تستلزمه من حوار و تقارب بين طرفي الخطاب فذلك نستنتجه من خلال سؤال المريض عن دواء لمرضه بأن له مكانة بين قومه وأن هناك علاقة صداقة وتقارب بينهما ، إضافة إلى خطابه مع العجوز التي هي زوجته فنجده يقترح عليها أن تطبخ النخالة له ولعياله فقد كان

[1] – المصدر السابق، ص (57 ، 58) .
[2] – الصدر نفسه ، ص 58 .
[3] – المصدر نفسه ، ص (57 ، 58) .
[4] – المصدر نفسه ، ص 57 .

يخاطبها بأسلوب لين لما بينهما من قرابة ومودة ، كما تظهر لهجة المريض الذي لم يصرح به الجاحظ ويذكر إسمه من خلال توظيفه لبعض الألفاظ الفارسية : **الفانيذ ، الجزيرة ، النشاشتج** [1]

فهي ألفاظ فارسية معربه .كما أن هناك إشاريات شخصية المتمثلة في الضمائر المتصلة نذكر منها : " **اشتكيت ، أصابني ، أحسسه ، اشتهيت ، فرغت ، قاربت ، طويت ، عرفت ، فقلت ، صدقت** ... "[2] فكلها تعود على المرسل فهو المريض الذي يعاني ويشتكي من مرض السعال الذي أصابه وكذلك أسماء الإشارة في :

" **فما جعت ولا اشتهيت الغداة في ذلك اليوم إلى الظهر**.... "[3] ، فهو يعود على اليوم الذي احتسى فيه ماء النخالة حارا .

أما **الإستراتيجية التوجيهية** في هذا النص فتظهر من خلال استخدام الأساليب الإنشائية (الأمر والنهي ، التحذير، والإغراء ، والنداء ...) ، إذ نجد الاستفهام في " **لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة** "[4] ، حيث نجد فيها بأن المريض في هذا القول يطلب من العجوز أن تطبخ له ولعياله في كل غداة نخالة لأن ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمه ، وكذلك الأمر في : **فأحسسه حارا** فهو يتضمن النصح والإرشاد فالموفقين هنا يقترحون عن المريض أن يحتسي ماء النخالة حارا لأنه عالج جيدا السعال ؛ إضافة إلى ذلك نجد أن الجاحظ قد وضف أيضا الإستراتيجية الإقناعية ، فهو يعمد إلى تقصص شخصية البخيل في هاته النادرة ويتعمق فيها لدرجة أنه يعرف مبرراتها ، ويفهم دواخلها وخباياها بدقة ، حتى يخيل للمتلقي أنه واحدا منها لذلك نجده يتقن الاحتجاج ويسوقه بأسلوب مميز **ومثال** ذلك من النادرة : " ... **فبينا أن أدافع الأيام إذ قال لي بعض الموفقين** : « **عليك بماء النخالة فأحسسه حار** ».

---

[1] –المصدر السابق ، ص 57 .

[2] – المصدر نفسه ، ص (57 ، 58) .

[3] – المصدر نفسه ، ص 57 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 57 .

فحسوت فإذا هو طيب جدا ، وإذا هو يعصم جدا فما جعت ولا اشتهيت الغداة في ذلك اليوم إلى الظهر ، ثم ما فرغت من غذائي طويت العشاء وعرفت قصدي .»[1] فبعدما نصح بعض الموفقين الشيخ بماء النخالة أن يحتسيه حارا ، بدأ يسرد لنا الحجج لكي يقنعنا بطعمه الطيب وأنه يعصم جدا ، والذي يحتسيه لا يشعر بالجوع فالنخالة تحولت عتد هذا البخيل حلا جيدا بجميع معضلاته .

4 – شكل الرسالة :

يندرج هذا النص الذي نحن بصدد دراسته ضمن النوادر فيقصد بالنادرة هي أقصوصة مرحة تتكون من وحدة سردية مستقلة بذاتها ، ومن ثم فهي تتسم بالإيجاز والقصر ، تتكون من عنصر قصصي واحد يدور موضوعها حول وقائع الحياة اليومية والتجارب الشخصية والإنسانية .[2] وهذا ما لاحظناه في مدونتا " **ماء النخالة** " فقد تناولت قصة شيخ مريض يبحث عن العلاج ولما وجده وشفي اقترح على زوجته أن يكون غداء له ولعياله .

5 – الزمان :

كما سبق وأن أشرنا فإن الزمن العام لتأليف كتاب البخلاء للجاحظ هو العصر العباسي ؛أما الزمن الخاص لهاته النادرة التي نحن بصدد دراستها " ماء النخالة " غير واضح وجلي إلا أننا نجد بعض الإشاريات الزمانية الموظفة من طرف الجاحظ نجد :

الأيام ، العصر ، العشاء ، اليوم ، الظهر [3] ، نستطيع القول أن الجاحظ لم يصرح بالزمن الحقيقي للقصة .

---

[1] – المصدر السابق، ص 57 .

[2] – محمد النجار ، التراث القصصي في الأدب العربي ، ط1 ، الكويت ، منضورات ذات السلاسل ، 1995 ص 685 .

[3] – الجاحظ ، البخلاء ، شر : عباس عبد الساتر ، ص 57

6 – المكان :

فالمكان العام لكتاب البخلاء هو البصرة لأن الجاحظ قد سرد لنا قصص ونوادر عن البخل والبخلاء ممن عاصرهم أو ممن حكوا له سواء أكان ذلك في البصرة ، أو بغداد وغيرهما ، لكن هاته النادرة لم نجد تحديدا لمكان ، فمثلا في حوار المريض مع العجوز في :

« **لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة ؟ فإن ماءها جلاء للصدر وقوتها غداء وعصمة ،ثم تجففين ، بعد ، النخالة ، فتعود كما كانت ، فتبيعينه إذ اجتمع بمثل الثمن الأول ، ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالتين** »، فقلت : « **أرجو أن يكون الله قد جمع لك بهذا السعال مصالح كثيرة ، لما فتح الله لك بهذه النخالة التي فيها صلاح بدنك ، وصلاح معاشك**»[1]

ومن خلال بعض الألفاظ يتحدد لنا بأن الإطار المكاني للنادرة في هذا الجزء هو : المنزل ونجد ذلك في " **لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة ": لعيالنا** [2]. فمكانهم يكون في البيت .

– أفضى بنا البحث في الفصل الثاني في مدونة البخلاء كانت ثرية بأسلوب الحوار الذي قمنا من خلاله بتحديد طرفي الخطاب من المرسل والمرسل إليه الذي يتغير من حين إلى آخر في القصص التي يحتويها الكتاب ، كما رأينا أن الجاحظ في كتابه قد توفرت فيه عناصر السياق التداولي (المرسل ،المرسل إليه، الرسالة ، شكل الرسالة ، الزمان والمكان) ، وهذا يظهر جليّا من خلال النماذج المختارة وتجدر الإشارة بأن نوادر البخلاء لم يدقق فيها الجاحظ توظيف عنصري الزمان والمكان عموما ، واكتفى بالتلميح والإشارة العابرة في معظم الأحيان وهذا نظرا لقصرها .

كما يسعى كتاب الجاحظ إلى التعبير عن المقاصد المعينة وتحقيق أهداف محددة إن يبرز في كتابه .

[1] – المصدر السابق، ص (57 ، 58) .

[2] – المصدر نفسه ، ص 57 .

الخاتمة

حاولنا في هذه المذكرة أن نلفت النظر إلى مقاصد التبليغ في كتاب البخلاء للجاحظ، حيث أنه لا يقف عند عبارات وألفاظ عند بناء الخطاب أي البنية اللغوية فقط ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فالجاحظ يأخذ في إعتباره أيضا الظروف النفسية والإجتماعية والثقافية التي هي في صميمها الجانب اللغوي التي ينبني عليها الخطاب ، وكل ما يتعلق بالمرسل والمرسل إليه ، وقد تم التوصل إلى مجموعة من الناتج نجملها فيما يأتي :

– إن المدونة التراثية التي إعتمدنا عليها كانت ملائمة للدراسة ، فقد إستطاع الجاحظ من خلالها إيصال مقاصده المختلفة للمتلقي بإقناعه والتأثير فيه، بإعتماد على الأسلوب القصصي بطريقة فكاهية ساخرة .

– إحتوي كتاب البخلاء على فنون نثرية مختلفة: كالرسائل و الحديث، والخبر، والطرفة، والنادرة، والقصة بأبنيتها القصيرة والطويلة والمتوسطة، كما وظف الجاحظ كل هذه الأنواع ضمن خطاب أدبي موضوعه الدفاع عن الكرم والحطّ من البخل وفضح البخلاء، فضلا عن الرسائل .

– يعتبر السياق الإطار العام ، الذي يسهم في ترجيح وإختيار آليات مناسبة لعملية الفهم والإفهام بين طرفي الخطاب ، وذلك بالإعتماد على عناصره الهامة المتمثلة في المرسل والمرسل إليه ، الزمان والمكان فمعرفة عناصر السياق التي جاءت في كتاب البخلاء قد أسهمت في التعبير عن المقاصد التي رسمها الجاحظ ، وبمعرفة هذا السياق – السياق التداولي – إستطعنا الوصول إلى المعنى المقصود وإستخراج أهم الأغراض الموجودة في هذا الخطاب .

– كما إعتمد الجاحظ على التنويع في إستحضار إستراتيجيات الخطاب المختلفة كالإستراتيجية التلميحية ، والتظامنية ، التوجيهية والحجاجية .

وبعد هذا فإن الغاية القصوى والهدف السامي الذي توصلنا إليه هو مدى مرونة نصوصنا التراثية في كيفية تحليلها وقابليتها بمختلف الآليات والإجراءات التي أنتجتها مختلف الدراسات الحديثة ، منها

التداولية كمنهج يملك آليات ناجعة في كيفية تعامله مع النصوص الرانية وفي كيفية تأويل الأقوال وبلوغ المقاصد الفعلية للمؤلف والمؤلف وذلك بالإعتماد على السياق بمفهومه الكامل .

الملحق

أولا : أبو عثمان الجاحظ :

نحن بصدد الوقوف على معرفة الجاحظ وحياته ، أن نقدما تعريفا له وأيضا مولده ونشأته ، ولمحة عن حياة عصره ، ثم نعرض شيوخه ، تلاميذه ومؤلفاته وإشارة إلى وفاته .

1 – إسمه ونسبه :

عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيصي [1]

من بني كنانة بن خزيمة ولد النضر أبي قريش ، وبنو كنانة بطن مضر يقال لهم :كنانة طلحة ، والليثي نسبة إلى الليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركه ،وإلى هذه القبيلة ينتسب الجاحظ فهو كناني طيبه خالص النسب ، جده فزارة أسود اللون ،وكان حمالا لعمرو بن قلع ، وقد فطن ياقوت إلى ذلك ، بينما زعم السمعاني أن هاتين الصفتين كانتا لجده المباضر ((محبوب))بينما روى ياقوت عن القاسم البلخى أن كنانى من أهل البصرة ومما نطمئن إليه أن الجاحظ من أصل عربي عريق ولم تذكر كتب التراجم أن أحدا من أجداده وقع عليه الرق ،كما أن أعداءه كانوا كثيرين ، فلو كان عربيا بالولاء لا بالنسب لما أغفل أعداؤه ذلك ولعبروه به ، هذا فضلا عن موقفه من العرب ودفاعه عنهم في كتبه.[2]

2 – كنيته ولقبه:

–أما كنيته فأبو عثمان [3] ، وكثيرا ماكان ينسى هذه الكنية ، فقد روى عنه قوله :«نسيت كنيتي ثلاثة أيام ، حتى أتيت أهلى فقلت لهم بم أكنى ؟

فقالوا :بأبي عثمان .وكان يطلق على اسمه (عمرو).

---

[1] – ياقوت الحموي الرمي ،معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة اللأديب) ، ط1، تح : إحسان عباس ، (د.ب) ، دار الغرب الإسلامي ، 1993م ، ج5 ، ص 2101.

[2] –ينظر : فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، (د.ط) ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،2005م ، ص23.

[3] – علي شلق ، الجاحظ ، ص11.

أما لقبه الذي اشتهر به فهو الجاحظ وقد لقب به لنتوء عينيه وجحوظهما –أي بروزهما –وقد كان يضيق ويغضب ممن يناديه به ويطلب ممن حوله أن يدعوه بإسمه أو بكنيته ،لأن اللقب هو من أطلقه عليه هم أعداؤه رغبة في مضايقته ، وتذكيرا بتشويه خلقه ،كما لقب بالحدقي للسبب نفسه إلا أن لقب "الجاحظ "غلب عليه واشتهر به».[1]

3 – مولده ونشأته :

تكاد تتفق معظم المصادر على أن ميلاد الجاحظ كان في نهاية القرن الثاني الهجري نحو 150هـ،في البصرة لأسرة فقيرة من عامة أهل البصرة ، وقد فقد الجاحظ والده في سن مبكر ، فكلفته أمه واضطر لمشاركتها في أعباء الحياة وهو في سن صغير ، فكان يذهب لأسواق البصرة لبيع الخبز والسمك . ورغم انشغاله بالبحث وراء أسباب العيش إلا أنه كان فائق الذكاء فلم يهمل العلم والتعلم. فإختلف إلى الكتاتيب والمساجد المنتشرة بالبصرة رغم حداثة سنة ،وتلقى في هذه المساجد علومه الأولى ،فحفظ أجزاء من القرآن ، ودرس العلوم الدينية كالفقه والحديث والتفسير ، وقرأ في كتب الأدب واللغة والنحو والتاريخ والفلسفة وعلم الكلام وغيرها.وخالط العلماء وسمع من الرواة وقد شغف الجاحظ بالعلم كثيرا فأخذ يختلف إلى سوق المبرد لمجالسه العلماء والأخذ عنهم ، ويذكر ابن النديم « أنه يكتري دكاكين الوراقين ليبيت فيها للنظر والقراءة »،وإتصل الجاحظ بأكبر علماء عصره خاصة "النظام"الذي أسهم في تشكيل الفكر الإعتزالي الجدلي عند الجاحظ ، حتى إننا نجد طائفة كلامية تشكلت بإسمه فيما بعد سميت بالطائفة الجاحظية.

وقد أحاط الجاحظ بكثير من معارف وثقافات عصره فنجده استمد كثيرا من معارفه من الثقافة اليونانية والفارسية والعربية ،مما هيأه للخوض في كثير من الأمور الجدلية والأدبية بل والطرفة الساخرة

[1] – فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، ص 20.

وقد انتقل الجاحظ إلى بغداد في عهد المأمون وعقد صلات كثيرة مع الوزراء والأدباء ،وتوثقت صلته بكبار رجال عصره كإبن الزيات وأحمد بن أبي دؤاد وغيرهما[1]

4 – عصره:

عاش الجاحظ في العصر العباسي الثاني ،والقرن الهجري الثاني فالثالث ،منذ عهد المعتصم ،وبعد المتوكل ،فيكون قد تقلب في الجوّ الذي تركهالرشيد والبرمكة ،إلى الجوّ الذي حكم فيه الواثق العقلاني الثقّف ، والمعتصم الأيّد ، القوي ، وهو عهد انحسرت فيه موجة الهيمنة العربية ، وظلال النوايا الفارسية وجاء الترك بالتسلط العسكري الذي لايراعي ثقافة ، أوشرعا أو انسانية اللهم إلا اللذائذ ، والمال والتسلط إلى ذلك فقد عاين الجاحظ وعانى أمور الصراع بين الفئات العربية ، والفارسية،والتركية وماكان يجري بين الخليفة ووزيره ، وولاتهما ،كما شاهد منذ المأمون والواثق كيف كان يلعب العقل ودوره ،والثقافة في تصرفها ،مما جعل الدولة عصرية عالمية بمنهجها ،ومحالفاتها ،وسفاراتها .

عاش الجاحظ في عهد الخلافة المزدهرة وعهد القمة في الحضارة الإسلامية وصادق كبراء الحكم من الوزراء الناقدين العلماء الأدباء الثقفيين .[2]

وقد ماجت الدولة العباسية بكثير من الأجناس والشعوب والأديان مما ساعد الجاحظ على الاختلاط بهؤلاء الأجناس والأخذ منهم وتنقيح مايأخذ ليخرج سبكا جديدا لايشفق له غبار ،وكان مماساعده في ذلك دقة ملاحظته وتباسطه مع أدنى الطبقات[3]

[1] – رانيا فوزي عيسى ، علم اللغة النصي ، (رسائل الجاحظ أنموذجا) ، ص (84 ،85)

[2] – ينظر: عبي شلق ، الجاحظ ، ص 33 .

[3] – رانيا فوزي عيسى ، علم اللغة النصي ، (رسائل الجاحظ أنموذجا) ، ص (85 ، 86).

5 – شيوخه:

تتلمذ الجاحظ على جملة من أساتذة هذا العصر ،تعددت ثقافاتهم وتنوعت مشاربهم وكان لهم الأثر الذي لايجحد على ثقافته وتكوينه العلمي [1]

ومن بين الشيوخ الذين تلقى الجاحظ عنهم أصول وصناعة الأدب وعلم الكلام ،وتربى على صوائدهم التي تزاحمت عليها صنوف العلم وفنونه،وتنوعت تنوعا نلمس أثاره في نبوغه وسعة علمه[2] نذكر منهم :

1–معمر بن المثنى :

هو أبو عبيدة معمر بن المثنى ، اللغوي ، البصري ، فارسي الأصل ،كان أجمع الناس للعلم وأكثرهم رواية وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها وقد أثبتت كتب التراجم تلمذة الجاحظ عليه وسماعه منه واستفادته من عمله ، وقال عنه الجاحظ ،لم يكن في الأرض خارجي ولاجماعي أبصر بجميع العلوم منه.

2–الأصمعي :

هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، البصري ، أحد أئمة اللغة والنحو والغريب والملح والنوادر ،نشأة بالبصرة وأخذ العربية والحديث والقراءى عن أئمتها ، وكان شيخا للجاحظ وصديقا له أفاده كثيرا من علمه ، ولقنه كثيرا من أسرار الفصحى ، ومناحي أساليب العرب الخلص [3]

---

[1] – فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، ص23 .

[2] – ينظر : المرجع نفسه ، ص 26 .

[3] – المرجع السابق ، ص (23 ، 24) .

3-الأخفش الأوسط:

هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة ،المعروف بالأخفش البصري أحد أئمة النحاة البصريين ،وقد أخذ عنه الجاحظ واستفاد بعمله ، وتتلمذ عليه وقال عنه :"كان ينشر مصنفاته ضربا من الغموض والعسر ،حتى يلتمس منه الناس تفسيرها ،ورغبة في التكسب بها ".

4-أبو زيد الأنصاري :

هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي ،البصري ،النحوي ،غلبت عليه اللغة والنوادر والغريب فأنفرد بذلك ، قد تتلمذ الجاحظ على أبي زيد واستفاد من علمه وأدبه.

5-النظّام:

هو ابراهيم بن سيار بن هانىء ، ولد ونشأ بالبصره ، ولقب بالنظام لأنه كان يحترف نظم الخرز في سوق البصرة في أول حياته .وقد تتلمذ عليه الجاحظ وتأثر به تأثرا شديدا ،واعتنق فكرة الاعتزالي وقال عنه :"لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم،ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النحل ، فإن لم أقل لولا أصحاب إبراهيم النظام لهلكت العوام من المعتزلة فإني أقول إنه أنهج أهم سبيلا ، وفتق لهم أمورا ، واختصر لهم أبوابا ظهرت فيها المنفعة ، وشملتهم بها النعمة "[1]

6 - تلاميذه:

أشرنا من قبل إلى أن الجاحظ رحل إلى بغداد بعد أن جاوز الخمسين من عمره ، واتخذها مقاما له:وأنه تصدر للتعليم والمناظرة ، فقصده طلاب العلم والعلماء من كل صوب وحدب .

وعلى الرغم من هذا فإن كتب التراجم –التي ترجمت له– لم تشر إلى تلاميذه ، أو من أخذ منه ، إلا ماأشار إليه صاحب ، أمراء البيان ، ممن روى الحديث عن الجاحظ ، كأبي بكر عبد الله بن أبى داوود

[1] – المرجع نفسه ، ص (25 ، 26) .

السجستاني ، ومحمد بن عبد الله بن أبي الدلهاب ، ودعامة بن الجهم ، وأبي سعيد الحسن بن على العدوى ، وأبى العباس المبرد ، ويموت بن المزرع ، وأبى العيناء محمد بن القاسم .

أما تلاميذه في اللغة والأدب والبيان ، فلم تشر كتب التراجم إلى واحد منهم ، اللهم إلا أبى خلف سلام بن يزيد الأندلسي ، الذي ذكر ياقوت أنه جاء من الأندلس إلى المشرق للاستفادة من علم الجاحظ وأدبه.

ويمكن أن نعد المبرد (ت285هـ)واحدا منهم ، فليس من المعقول أن يأخذ عنه الحديث –كما روى ذلك صاحب أمراء البيان –ولايأخذ عنه اللغة وصناعة الأدب اللذين وجدنا تأثر المبرد بأستاذه فيهما في كتابه الكامل . ولعل عدم كثرة هؤلاء التلاميذ أو اهتمام كتب التراجم بهم راجع إلى فلسفة الجاحظ العلمية ، حيث كان يرى في نفسه معلما ، لايميل أن يجلس تلميذه بين يديه ، ولكن يقدم إليه علمه عن طريق كتبه فيؤلف الكتاب جامعا ، ثم يدعه يفيد مما يقرأ.[1]

7 – مؤلفاته:

منح اللّه الجاحظ قدرة نادرة وصبرا عجيبا على الإبداع والابتكار والتأليف في شتى العلوم والفنون التي عرفت في عصره ،وقبل عصره فخلف ثروة ضخمة من الكتب والرسائل أزدانت بها المكتبة العربية وأضحت غذاء رويا للعقل والفكر والوجدان [2]

-كتاب البيان والتبيين مكون من أربعة أجزاء .

-كتاب الحيوان مكون من ثمانية أجزاء .

-كتاب البخلاء .

-كتاب المحاسن والأضداد.

[1] – المرجع السابق ، ص 31 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 33 ،

-البرصان والعرجان .

-التاج في أخلاق الملوك.

-الآمل والمأمول .

-التبصرة بالتجارة.

-البغال.

-فضل السودان على البيضان.

-كتاب خلق القرآن.

-كتاب أخلاق الشطار.

ويقول عمرو فروغ كتب الجاحظ في معظم الفنون التي كانت معروفة في أيّامه[1].

8 – مرضه ووفاته:

ظل الجاحظ مكبا على العلم والتأليف ،ينتقل في سبيل ذلك بين بغداد والبصرة وسر من رآي إلى أن أدركته الشيخوخة ،وأصيب بالفالج ،ولما اشدت علته استقر بالبصرة –مسقط رأسه–فأقام بها البقية الباقية من عمره ، إلا أنه لم يعف نفسه من الكتابة والتأليف ، فأخذ ينتج ويبدع ، ثم زادت عليه العلة ،فأصيب بالتقرس أيضا ،وقد صوّر المبرد هذه الحالة التي وصل إليها الجاحظ في قوله :دخلت على الجاحظ في آخر أيامه وهو عليل ، فقلت له كيف حالك ؟. فقال :كيف يكون نصفه مفلوج ، لو نشر بالمناشر ماحسى به ، ونصفه الآخر منقرسى لو طار الذباب بقربه لآلمه ، والآفة في جميع هذا إني قد جزت التسعين.

[1]– عمرو فاروغ ، تاريخ الأدب العربي ، الأعصر العباسية ، ص (304 ، 305) .

كان يطلي نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته وظل على هذا الحال من المرض والألم حتى وقعت عليه مجلدات الكتب التي اعتاد أن يضعها حوله قائمة كالحائط ، فمات في المحراب الذي أحبه وبحر فيه طول حياته .[1]

وأجمعت معظم المصادر على أن وفاته كانت سنة خمس وخمسين ومائتين (255هـ) ، من الهجرة بالبصرة عن عمر يقارب التسعين (90) أو الخامسة والتسعين (95) [2].

[1] – ينظر : فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية ، ص 32 .

[2] – رانيا فوزي عيسى ، علم اللغة النصي ، (رسائل الجاحظ أنموذجا) ، ص 86 .

النماذج المختارة

رسالة سهل بن هارون الى محمد بن زياد والى بني عمه من آل زياد

حين ذموا مذهبه في البخل وتتبعوا كلامه في الكتب

« بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلّمكم الخير، وجعلكم من أهله.

قال الأحنف بن قيس[1]: يا معشر بني تميم، لا تسرعوا الى الفتنة، فإن أسرع الناس إلى القتال، أقلّهم حياء من الفرار. وقد كانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمّة، فتأمّل عيّاباً، فإنه إنما يعيب، بفضل ما فيه من العيب؛ وأول العيب أن تُعيب ما ليس بعيب؛ وقبيح أن تنهي عن مرشد، أو تغري بمشفق. وما أردنا، بما قلنا، إلا هدايتكم وتقويمكم، وإلا إصلاح فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم. ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم، فما أخطأنا سبيل حسن النية، فيما بيننا وبينكم. ثم قد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلا بما قد اخترناه لأنفسنا قبلكم، وشهرنا به في الآفاق دونكم، فما كان أحقّكم، في تقديم حرمتنا بكم ـ أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم، وتنبيهنا على ما أغفلنا من واجب حقكم، فلا

---

(١) الأحنف بن قيس: حكيم بني تميم وسيدهم.

العذر المبسوط[1] عرفتم، ولا بواجب الحرمة قمتم.

ولو كان ذكر العيوب برّاً وفضلاً، لرأينا أن في أنفسنا عن ذلك شغلاً.

وإنّ من أعظم الشَّقوة، وأبعد من السعادة، ألّا يزال يتذكر زلل[2] المعلمين، ويتناسى سوء استماع المتعلمين، ويُستعظم غاط العاذلين[3] ولا يُحفل بعمد[4] المعذولين.

عبتموني بقولي لخادمي: أجيدي عجنه خميراً كما أجدته فطيراً، ليكون أطيب لطعمه؛ وأزيد في ريعه. وقد قال عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه ورحمه، لأهله: املكوا العجين، فإنه أريع الطحينين.

وعبتم عليّ قولي: من لم يعرف مواقع السرف[5] في الموجود الرخيص، لم يعرف مواقع الإقتصاد في الممتنع الغالي. فلقد أُتيت من ماء الوضوء بكيلة يدلّ حجمها على مبلغ الكفاية وأشفّ من الكفاية، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء، والى التوفير عليها من وظيفة الماء، وجدت في الأعضاء فضلاً على الماء، فعلمت أن لو كنت مكّنت الإقتصاد في أوائله، ورغبت عن التهاون به في إبتدائه، لخرج آخره على كفاية أوّله، ولكان نصيب العضو الأول كنصيب الآخر؛ فعبتموني بذلك، وشنّعتموه بجهدكم وقبّحتموه. وقد قال الحسن[6] عند ذكر السَّرف: إنه ليكون في الماعونين[7]: الماء والكلأ، فلم يرض بذكر الماء،

(١) العذر المبسوط: العذر الظاهر.

(٢) زلل: خطأ.

(٣) العاذلين: اللائمين.

(٤) عمد المعذولين: ما ينتج عنهم من أعمال وخطايا مقصودة.

(٥) السرف: التبذير.

(٦) الحسن: احد الأئمة في صدر الاسلام، وهو الحسن البصري.

(٧) الماعونين: مفردها ماعون، وهو القدر او سواه، مما يستعمله بعض الناس للإنتفاع به.

حتى أردفه بالكلأ.

وعبتموني حين ختمت على سدّ[1] عظيم، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة ومن رُطبة غريبة، على عبدٍ نهم، وصبي جشع، وأمة لكعاء[2]، وزوجة خرقاء.[3]

وليس من أصل الأدب، ولا في ترتيب الحكم، ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة، أن يستوي في نفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب، والناعم من كل فنّ، واللباب من كل شكل، التابع والمتبوع، والسيد والمسود، كما لا تستوي مواضعهم في المجلس، ومواقع أسمائهم في العنوانات، وما يستقبلون به من التحيات.

وكيف وهم لا يفقدون، من ذلك، وما يفقد القادر، ولا يكترثون له اكتراث العارف. من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمّن وأعلف حماره السمسم المقشّر.

فعبتموني بالختم، وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق، وختم على كيس فارغ، وقال: «طينة خير من طنّة[4]». فأمسكتم عمن ختم على لا شيء، وعبتم من ختم على شيء.

وعبتموني حين قلت للغلام: إذا زدت في المرق فزد في الإنضاج، لنجمع بين التأدّم[5] باللحم والمرق، ولنجمع، مع الارتفاق[6]، بالمرق

---

(١) سد: سلّة.

(٢) لكعاء: الخبيثة، اللئيمة.

(٣) خرقاء: حمقاء.

(٤) طنة: الطنين، أو لعلها الظنّة.

(٥) التأدم: اتخذه إداماً، والإدام ما يجعل مع الخبز فيطيبه.

(٦) الارتفاق: الاستعانة، المساعده برفق.

الطيب؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا طبختم لحماً فزيدوا في الماء، فإن لم يصب أحدكم لحماً، أصاب مرقاً.

وعبتموني بخصف النعال[1]، وبتصدير القميص[2]، وحين زعمت أن المخصوفة أبقى وأوطأ وأوقى، وأنفى للكبر، وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، وأن الإجتماع مع الحفظ، وأن التفرق مع التضييع.

وقد كان النبي ﷺ يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويلطع[3] إصبعه، ويقول: لو أتيت بذراع لأكلت، ولودُعيت الى كُراع لأجبت[4]. ولقد لفّقت سُعدى إبنة عوف إزار طلحة، وهو جواد قريش، وهو طلحة الفياض[5].

وكان في ثوب عمر رقاع أدم[6]. وقال: من لم يستحي من الحلال، خفّت مؤونته، وقلّ كبره. وقالوا: «لا جديد لمن لا يلبس الخلق». وبعث زياد رجلاً يرتاد[7] له محدِّثاً، واشترط على الرائد أن يكون عاقلاً مسدّداً، فأتاه به موافقاً، فقال: «أكنت ذا معرفة به»؟ قال: «لا ولا رأيته قبل ساعته». قال: «أفناقلته الكلام وفاتحته الأمور، قبل أن توصله إليّ»؟ قال: «لا». قال: «فلِمَ اخترته على جميع من رأيته»؟ قال: «يومنا يوم قائظ، ولم أزل أتعرّف عقول الناس بطعامهم ولباسهم في مثل هذا اليوم، ورأيت ثياب الناس جدداً وثيابه لبساً[8]، فظننت به الحزم».

---

(١) خصف النعال: ترقيعها.

(٢) تصدير القميص: تبطينها.

(٣) يلطع: يلحس.

(٤) كراع: شيء من ساق الغنم وغيرها.

(٥) هو طلحة بن عبد الله التيمي احد الصحابه. وسعدى ابنة عوف: زوجته.

(٦) رقاع أدم: رقاع من الجلد.

(٧) يرتاد: يريد ـ يبغي.

(٨) ثيابه لبساً: عتيقة، بالية.

وقد علمنا أن الجديد في موضعه دون الخلق؛ وقد جعل الله عزّ وجلّ لكل شيء قدراً وبوّأ له موضعاً، كما جعل لكل دهر رجالاً، ولكل مقام مقالاً؛ وقد أحيا بالسُمِّ، وأمات بالغذاء، وأغصّ بالماء، وقتل بالدواء. فترقيع الثوب يجمع، مع الإصلاح التواضع، وخلاف ذلك يجمع، مع الإسراف، التكبر. وقد زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين، وقد جبر الأحنف يد عنز، وأمر بذلك النعمان. وقال عمر: من أكل بيضة فقد أكل دجاجة، وقال رجل لبعض السادة: أهدي إليك دجاجة، قال: إن كان لا بدّ فاجعلها بيّاضة. وعد أبو الدرداء[1] العُراق[2] جزر البهيمة[3].

وعتموني حين قلت: «لا يغترّنّ أحد بطول عمره، وتقوّس ظهره، ورقة عظمه، ووهن[4] قوته، أن يرى أكرومته، ولا يخرجه ذلك إلى إخراج ماله من يديه، وتحويله إلى ملك غيره، وإلى تحكيم السرف فيه، وتسليط الشهوات عليه، فلعلّه أن يكون معمّراً، وهو لا يدري، وممدوداً له في السن وهو لا يشعر؛ ولعله أن يُرزق الولد على اليأس، أو يحدث عليه بعض مخبّآت الدهور، مما لا يخطر على البال، ولا تدركه العقول، فيستردّه ممن لا يردّه، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه، أضعف ما كان عن الطلب وأقبح ما يكون به الكسب». فعبتموني بذلك، وقد قال عمرو بن العاص: «اعمل لدنياك عمل من يعيش أبداً، واعمل لآخرتك من يموت غداً»[5].

وعبتموني حين زعمت أن التبذير الى مال القمار، ومال الميراث،

---

(١) ابو الدرداء: هو عويمر بن مالك الخزرجي، أحد الصحابة.

(٢) العُراق: العظم اكل لحمه.

(٣) جَزر البهيمة: لحمها.

(٤) وهن: ضعف.

(٥) ومثل هذا القول يروى عن الامام علي بن ابي طالب، كرّم الله وجهه.

وإلى مال الإلتقاط، وحباء[1] الملوك، أسرع، وأن الحفظ الى المال المكتسب والغنى المجتلب، وإلى ما يعرض فيه لذهاب الدين، واهتضام العِرض، ونصب[2] البدن، واهتمام القلب أسرع، وأن من لم يحسب ذهاب نفقته، لم يحسب الدخل، فقد أضاع الأصل، وأن من لم يعرف قدره، فقد أذن بالفقر وطاب نفساً بالذّل.

وزعمت أن كسب الحلال مضمّن بالإنفاق في الحلال؛ وأن الخبيث ينزع الى الخبيث؛ وأن الطيّب يدعو الى الطيّب؛ وأن الإنفاق في الهوى، حجاب دون الحقوق؛ وأن الإنفاق في الحقوق، حجاز دون الهوى. فعبتم عليّ هذا القول؛ وقد قال معاوية: لم أر تبذيراً قط إلا والى جانبه حق مضيّع. وقد قال الحسن: إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب ماله، فانظروا في أي شيء ينفقه، فإن الخبيث ينفق في السَّرف.

وقلت لكم، بالشفقة مني عليكم، وبحسن النظر لكم وبحفظكم لآبائكم، ولما يجب في جواركم، وفي ممالحتكم، وملابستكم: «أنتم في دار الآفات، والجوائح[3] غير مأمونات؛ فإن أحاطت بمال أحدكم آفة، لم يرجع الى بقية؛ فأحرزوا النعمة باختلاف الأمكنة، فإن البليّة لا تجري في الجميع إلا مع موت الجميع. وقد قال عمر رضي الله عنه، في العبد والأمة، وفي ملك الشاة والبعير، وفي الشيء الحقير اليسير: « فرّقوا بين المنايا ». وقال ابن سيرين لبعض البحريين: « كيف تصنعون بأموالكم »؟ قال: « نفرّقها في السفن، فإن عطب بعضٌ سلم بعض، ولولا أنّ السلامة أكثر لما حملنا خزائننا في البحر ». قال ابن سيرين: تحسبها « خرقاء[4] وهي صناع »[5].

---

(١) حباء: الكرم والعطاء.

(٢) نصب: تعب.

(٣) الجوائح: مفردها جائحة، التهلكه، المصيبة.

(٤) خرقاء: حمقاء.

(٥) صناع: ماهرة.

وقلت لكم، عند إشفاقي عليكم: «إنّ للغنى سُكراً، وان للمال نزوةً، فمن لم يحفظ الغنى من سكر الغنى، فقد أضاعه؛ ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر، فقد أهمله».

فعبتموني بذلك؛ وقال زيد بن جبلة[1]: «ليس أحد أفقر من غنيّ أمِنَ الفقر، وسكر الغنى أشدّ من سكر الخمر».

وقلتم: «قد لزم الحثّ على الحقوق، والتزهيد في الفضول، حتى صار يستعمل ذلك في أشعاره، بعد رسائله، وفي خطبه، بعد سائر كلامه؛ فمن ذلك قوله في يحيى بن خالد:

عدوّ تلاد المال فيما ينوبه منوعٌ إذا ما منعه كان أحزما!

ومن ذلك قوله في محمد بن زياد:

وخليقتان: تقىً وفضلُ تحرّم وإهانةٌ، في حقهِ، للمالِ!

وعبتموني حين زعمتُ أنّي أقدم المال على العلم؛ لأن المال به يُغاث العالم، وبه تقوم النفوس، قبل أن تعرف فضيلة العلم. وأن الأصل أحق بالتفضيل من الفرع، وأني قلت: «وإن كنا نستبين الأمور بالنفوس، فإنا بالكفاية نستبين، وبالخلّة[2] نعمى». وقلتم: «وكيف تقول هذا، وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدّم الأدباء: العلماء أفضل أم الأغنياء؟ قال: بل العلماء. قيل: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء، أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: لمعرفة العلماء بفضل الغنى، ولجهل الأغنياء بفضل العلم». فقلت: حالهما هي الفاصلة بينهما؛ وكيف يستوي شيء ترى حاجة الجميع إليه، وشيء يغني بعضهم فيه عن بعض»؟.

وعبتموني حين قلت: «إن فضل الغني على القوت، إنما هو كفضل الآلة

---

(١) زيدبن جبلة: أحد الزعماء الذين اشتهروا بالفصاحة في عهد الخلفاء الراشدين.

(٢) الخلة: الحاجة الشديدة.

تكون في الدار، إن احتيج إليها استُعملت، وإن استُغني عنها كانت عُدّة».
وقد قال الحُضَين بن المنذر[1]: «وددت أن لي مثل أحُدٍ ذهباً لا أنتفع منه بشيء». قيل: «فما ينفعك من ذلك»؟ قال: «لكثرة من يخدمني عليه».
وقال أيضاً: «عليك بطلب الغنى، فلو لم يكن لك فيه إلا أنه عزّ في قلبك، وشبهة في قلب غيرك، لكان الحظ فيه جسيماً، والنفع فيه عظيماً».

ولسنا ندع سيرة الأنبياء، وتعليم الخلفاء، وتأديب الحكماء، لأصحاب الأهواء. كان رسول الله ﷺ يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم، والفقراء باتخاذ الدجاج. وقالوا: «درهمك لمعاشك، ودينك لمعادك». فقسّموا الأمور كلها على الدين والدنيا، ثم جعلوا أحد قسمي الجميع، الدرهم. وقال أبو بكر الصديق رحمة الله عليه ورضوانه: «إني لأبغض أهل البيت ينفقون رزق الأيام في اليوم»، وكانوا يبغضون أهل البيت اللحمين[2]. وكان هشام يقول: «ضع الدرهم على الدرهم، يكوّن مالاً. ونهى أبو الأسود الدؤلي[3]، وكان حكيماً أديباً، وداهياً أريباً، عن وجودكم هذا المولّد، وعن كرمكم هذا المستحدث، فقال لإبنه: «إذا بسط الله لك في الرزق فابسط، وإذا قبض فاقبض[4]، ولا تجاود[5] الله، فإن الله أجود منك». وقال: «درهم من حلّ يخرج في حق، خير من عشرة آلاف قبضاً». وتلقّط عُرجداً[6] من برم فقال: «تضيعون مثل هذا، وهو قوت امرىء مسلم يوماً إلى الليل»؟! وتلقط أبو الدرداء حبّات حنطة، فنهاه بعض المسرفين، فقال: «إيهاً، ابن العبسية، إن فقه المرء رفقه في معيشته».

---

(١) الحضُين بن المنذر: هو ابو ساسان احد التابعين.
(٢) اللحمين: آكلي اللحم.
(٣) ابو الأسود الدؤلي: اول مَنْ وضع النقاط والحركات للقرآن الكريم.
(٤) اقبض: لا تسرفْ.
(٥) لا تجاود: لا توازيه او تغالبه في الجود والعطاء.
(٦) عرجد: أصل العذق اليابس.

فلستم عليّ تردّون ولا رأيي تفندون[1]، فقدّموا النظر قبل العزم، وتذكروا ما عليكم قبل أن تذكروا ما لكم. والسلام».

(١) تفندون: تحظئون.

جبل وأبو مازن:

وكان جبلٌ خرج ليلاً من موضع كان فيه، فخاف العسس، ولم يأمن أحد يتبعه فيضرّه. فقال: «لو دققت الباب على أبي مازن، فبتّ عنده في أدنى بيت أو في دهليزه، ولم ألزمه من مؤنتي[1] شيئا، حتى إذا انصدع عمود الصبح[2] خرجت في أوائل المدلجين[3]».

فدقّ عليه الباب دقًّ واثق، ودقّ مدلّ، ودقّ من يخاف أن يدركه العسس أو أحد يتبعه، وفي قلبه من الخوف ما يزيد عن الكفاية. فلم يشك أبو مازن أنه دق صاحب هديّة، فنزل سريعاً.

فلما فتح الباب، ونظر لجبل، أبصر الموت. فلما رآه جبَلَ واجماً[4] لا يحير كلمة، قال له: «إني خفت معرّة العسس وخوف أحد يضرني أو يتبعني، فملت إليك لأبيت عندك. فتساكر أبو مازن، وأراه أن وجومه إنما كان بسبب السكر. ففتح فاه، وحرّك لسانه، وقال: «سكران والله، أنا والله سكران». قال له جبل: «كن كيف شئت. نحن في أيام الربيع، لا شتاء ولا صيفٌ، ولست أحتاج إلى سطح فأغمّ عيالك بالحر، ولست أحتاج إلى لحاف فأكلفك أن تؤثرني بالدثار[5]. وأنا كما ترى ثمل[6] من الشراب، شبعان من الطعام، ومن منزل فلان خرجت، وهو أخصب الناس رحلاً. وإنما أريد أن تدعني أغفي في دهليزك إغفاءة واحدة، ثم أقوم في أوائل المبكرين». قال أبو مازن (وأرخى عينيه وفكيه ولسانه) ثم قال: «سكران، والله، أنا سكران، لا والله ما أعقل أين أنا، والله ما أفهم ما تقول».

ثم أغلق الباب في وجهه، ودخل، لا يشكّ أن عذره قد وضح، وأنه قد ألطف النظر حتى وقع على هذه الحيلة.

---

(١) مؤنتي: كلفتي.

(٢) إذا طلع الصباح.

(٣) المدلجين: مفردها مدلج، وهو السائر ليلاً.

(٤) واجماً: ساكتاً لا يتحرك ولا ينطق.

(٥) الدثار: اللحاف، او كل ما يتغطى به النائم.

(٦) ثمل: سكران.

ماء النخالة:

ثم قال: « اشتكيت أياماً صدري، من سعال كان أصابني. فأمرني قوم بالفانيذ[٤] السكري، وأشار عليّ آخرون بالخزيرة[٥] تتخذّ من النشاشتج[٦] والسكر، ودهن اللوز، وأشباه ذلك. فاستثقلت المؤونة، وكرهت الكلفة، ورجوت العافية. فبينا أنا أدافع الأيام، إذ قال لي بعض الموفقين: « عليك بماء النخالة، فأحسُسْه[٧] حاراً ». فحسوت فإذا هو طيّب جداً، وإذا هو يعصم[٨] جداً فما جعت ولا اشتهيت الغداة في ذلك اليوم الى الظهر. ثم ما فرغت من غدائي وغسل يدي حتى قاربت العصر. فلما قرُب وقت غدائي من وقت عشائي، طويت العشاء وعرفت قصدي ».

فقلت للعجوز: « لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة؟ فإن ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمة، ثم تجففين، بعد، النخالة، فضل ما بين الحالين ». فقالت: « أرجو أن يكون الله قد جمع لك بهذا السعال مصالح كثيرة، لما فتح الله لك بهذه النخالة التي فيها صلاح بدنك، وصلاح معاشك ».

وما أشك أن تلك المشورة كانت من التوفيق ».

قال القوم: « صدقت. مثل هذا يكتسب بالرأي، ولا يكون إلا سماوياً ».

---

(١) سقْط: الشيء الخسيس.

(٢) اعتقد: جمع.

(٣) جريب: مكيال، ومقدار معلوم من الأرض.

(٤) الفانيذ: نوع من الحلواء (فارسي معرب).

(٥) الخزيرة: ضرب من الحلواء.

(٦) النشاشتج: النشاء. (فارسي معرب).

(٧) أحسسه: اشربه.

(٨) يعصم: يمنع من الجوع.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أولا : الكتب :

1. إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، (د.ط) ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية 1965م
2. إبن القيم الجوزية ، بدائع االفوائد ، ط1 ، تح : هشام عبد العزيز عطا ، مكة المكرمة ، مكتبة نزار، مصطفي الباز ، 1996 .
3. إبن قتيبه ، أدب الكاتب ، ط1 ، تح : محمد الدالي ، لبنان ، مؤسسة الرسالة .1982
4. إبن منظور، ابن الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط3، لبنان، دار صادر، 1994، ج 11.
5. إبن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، (د–ط) ، تح : محي الدين عبد الحميد ، لبنان ، المكتبة العصرية ، 2005 ، ج1
6. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، (د.ط) ، تح : محمود محمد شاكر أبو فهر ، القاهرة ، مكتبة الخانجي مطبعة المدني ، (د.ت)
7. أبو عبيدة معمر بن مثنى ، مجاز القرآن، (د.ط) ،تح : محمد فؤاد سزكين ، (د.ط) ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ج1 .
8. أبو قدامة أشرف بن محمود بن عقله الكنانة ، الأدلة الإستثنائية عند الأصوليين ط1، الأردن ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، 2005م
9. أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، ط2 ، لبنان ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2010 ، ص (26 ،27)
10. أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، ط1، المغرب، منشورات عكاظ ، 1989.
11. أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ط 2 ، دار الفكر ، لبنان ، 1999 .

12. أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، (د.ط) ، مصر ، عالم الكتب ، (د.ت)
13. الأصفهاني أبو قاسم الحسين محمد بن المفضل الراغب، المفردات في غريب القرآن . (د.ط) ، بيروت، دار المعرفة، (د .ت).
14. آن روبول، جاك موشلار ، التداولية اليوم ،علم جديد في التواصل ، ط1 ، تر : سيف الدين دعفوس ، محمد الشيباني ، لبنان ، دار الطبيعة للطباعة والنشر ، 2003 .
15. باديس فوغالي ، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، ط1 ، الأردن ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، 2008
16. باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم السكاكي(ت 626) ، ط1، الأردن، عالم الكتاب الحديث، 2014
17. باسم خيري خضير ، إستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي مقاربة تداولية ، ط1 ، العراق ، مؤسسة علوم نهج البلاغة ، 2017
18. بشري البستاني ، التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ط1 ، لندن ، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، 2012
19. تمام حسان ، الأصول ، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، ط1 ، مصر ، عالم الكتب ، 2000
20. تمام حسان ، اللغة العربية ، معناها و مبناها ، ط1 ، مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973 ،
21. التهانوي ، كشاف إصطلاحات الفنون ،(د.ط) ، تح : على حروج ، لبنان ، مكتبة الناشر ، (د. ت) ،ج1
22. الجاحظ ، البخلاء (د.ط)، تح : طه الحاجري ، مصر ، دار المعارف ، 2005

23. الجاحظ ، البخلاء ، (د،ط) ، تح : أحمد سويد ، دار الإحياء العلوم ، بيروت ، 1992

24. الجاحظ البخلاء، شر: عباس عبد الساتر، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004.

25.الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين، (د. ط) ، تح: عبد السلام هارون، مصر، مطبعة الخانجي، 1975، ج1،

26. جان سرفوني ، الملفوظية ، (د.ط) ، تر : قاسم المقداد ، (د.ب) . منشورات إتحاد الكتّاب العرب ، 1981م ،

27. جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، ط2 ، بيروت – لبنان ، دار العلم للملايين ، 1984

28. جورج يول ، التداولية ، ط1 ، تر : قصي العتابي ، المغرب ، دار العربية للعلوم ، 2010م

29. حافظ اسماعيل علوي ، التداوليات علم إستعمال اللغة ، (د.ط) ، الأردن ، عالم الكتب الحديث ، 2011

30. حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، المستصفي من علم الأصول ، ط1 ، تح : محمد بن سليمان الأشقر ، لبنان ، مؤسسة الرسالة ، 1997 ، ج2 .

31. حمود عكاشة ، النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ ، (د،ط) ، مصر ، مكتبة الآداب (د،ت)

32. خالد الأزهري ، التصريح بمضمون التوضيح في النحو ، ط2 ، تح : محمد ياسل عيون السود ، لبنان ، دار الكتب العلمية

33. خديجة الصافي ، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في البيان ، ط1 ، مصر ، دار السلام ، 2009

34. خلود العوش ، الخطاب القرآني لدراسة العلاقة بين النص والسياق ،ط1، الأردن ، عالم الكتب الحديث ، 2008.

35. خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصليه في الدرس العربي القديم ، ط1 ، الجزائر، بيت الحكمة للنشر و التوزيع ، 2000

36. دومنيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل خطاب . ط1 ، تر : محمد يحيا تن لبنان ، دار العربية للعلوم ، ،2008.

37. ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ط2 ،تيزي وزو – الجزائر ، دار الأمل ، 2012 ،

38. رانيا فوزي عيسى ، علم اللغة النصي ، رسائل الجاحظ نموذجا ، (د.ط) ، مصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2014

39. رفيقة مراد، الخلفيات النظرية لإنشائية الإضحاك في البخلاء ، (د.ط) ، تونس ، 2007

40. الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله ، البحر المحيط ، ط1 ، تح : محمد محمد نامر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2000م ، مج:3 .

41. الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ط 1 ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار التراث ، (د.ت) مج: 4 .

42. زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ،(د.ط)، لبنان ، دار النهضة العربية ، 1984م

43. الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر بن أحمد ، أساس البلاغة ، تح : محمد باسل عيون التشود ، ط1 ، لبنان ، دار الكتب العلمية (د. ت) ، ج1 .

44.زين رانيا رمضان أحمد، اللسانيات التواصلية وجذورها في التراث النحوي العربي، ط1، الأردن، دار جليس الزمان، 2005.

45. سعد فاروق ، مع بخلاء الجاحظ ، دراسة تحليلية مقارنة مع منتخبات ، (د.ط) (د.ب) ، دار الأفاق الجديدة ، 1983م

46. سيبويه ، أبي بشر بن عثمان بن قنبر، الكتاب ، ط3 ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مصر ، الناشر مكتبة الخانجي ، 198، ج1
47. السيوطي: جلال الدين، الأشباه والنظائر، ط1، بيروت – لبنان – ، دار الكتب العلمية، 1990، ج1.
48. شكري المبخوث ، دائرة الأعمال اللغوية مراجات ومقترحات ، ط1 ، بيروت ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، 2010 .
49. صاحب أبو جناح ، دراسات في نظرية النحو العربي و تطبيقاتها، ط1 ، الأردن ، دار الفكر للطباعة والنشر ، 1998م .
50. صلاح إسماعيل عبد الحق ، نظرية المعنى في فلسفة يول غرايس ، ط1 ، مصر ، الدار المصرية السعودية ، 2005
51. صلاح الدين زرال ، الظاهرة الدلالية ، ط1 ، لبنان ، الدار العربية للعلوم ناشرون 2008م.
52. طالب سيدهاشم البطيطيائي ، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ، (د.ط) ، الناشر جامعة الكويت 1994
53. الطاهر بومزير ، التواصل اللساني والشعري ، ط1 ، منشورات الإختلاط ، 2007
54. طاهر سليمان حمودة ، دراسة المعنى عند الأصوليين ، ط1 ، مصر ، دار الجميل للنشر والتوزيع ، 2001
55. طه عبد الرحمان ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، ط2 ، دار البيضاء ، المركز الثقافي العربي،(د.ت)
56. طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ط2 ، المغرب ، المركز الثقافي العربي ، 2000

57. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1 ، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1998

58. عامر مصباح ، الإقناع الإجتماعي خلفية النظرية وآلياته العلمية ، ديوان المطبوعات الجامعة ، الجزائر ، 2006 .

59. عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، ط1 ، الأردن ،دار الصفاء 2002

60. عبد الله الركيبي ، القصة الجزائرية القصيرة ، (د.ط) ، (د.ب) ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، 2003م

61. عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، ط1 ، الجزائر ، دار هومة ، 2007

62. عبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ، ط1 ، مصر ، دار الوفاء 2007م.

63. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ط1 ، بيروت ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت 2004

64. عرفات فيصل المناع ، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي) ، ط1 ، لندن ،مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، 2013

65. على آيت أوشان ، السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة) ، ط1 ، الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الجديدة ، 2000

66. عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ط1 ، الجزائر منشورات الإختلاف ، 2003م

67. عمران قدور ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل ط1 ، الأردن ، علم الكتب الحديث ، 2012

68. عمرو فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية، (د.ط) ، دار العلم الملايين، (د. ت) ، ج 2 ،بيروت، لبنان،

69. العياشي أدراوي ، الإستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الظابطة لها ، ط1 ، المغرب ، دار الأمان ، 2011م

70. عيد بلبع ، السياق وتوجيه دلالة النص ، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية ، ط1 ، (د.ب) ، دار بلنسية للنشر والتوزيع ، 2008.

71. فان دايك ، النص والسياق ، إستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ط1 ، تر : عبد القادر قنيني ، مصر ، إفريقيا الشرق 2000م

72. فرانسواز ارمنيكوا ، المقاربة التداولية ، ط1 ، تر : سعيد علوش ، (د.ب) المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع ، 1987

73. فرديناند دي سوسير ، دروس في اللسانيات العامة ، (د.ط) ، تح : يوسف غازي مجيد نصر ، الجزائر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، 1986

74. فليب بلانشية ، التداولية من أوستين إلى غولفمان ، ط1 ، تر : صابر الحباشة سوريا ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، 2007

75. فهد خليل زايد ، الكتابة فنونها وأفنانها ، ط 1 ، عمان الأردن ، دار يافا العلمية 2013م

76. فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، (د.ط) القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،2005 .

77. فوزي عيسى ، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي ، (د.ط) ، الإسكندرية ، مصر دار المعرفة الجامعية ، 2002

78. القزويني ، الإيضاح في علم اللغة ،(د.ط) شرح:محمد عبد المنعم خفاجي ، مصر المكتبة الأزهرية للتراث ، 1993 ، ج 1 .

79. كاترين كيربرات واوريكوفي ، المضمر ، ط1 ، تر : ريتا خاصر ، لبنان ، المنظمة العربية لترجمة ، 2008

80. كمال بشر ، علم اللغة الإجتماعي ، ط3 ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر 1997م.

81. مجدي وهبه ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، (د.ط) ، لبنان ، مكتبة لبنان ، 2010

82. محمد أبو الفضل إبراهيم ، الصناعتين ، (د.ط) ، تح : محمد علي ، لبنان جاري المكتبة العصرية ، لبنان ، 1986 .

83. محمد إدريس الشافعي ، الرسالة ، ط1 ، تح : أحمد محمد شاكر ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، (د.ت) .

84. محمد النجار ، التراث القصصي في الأدب العربي ، ط1 ، الكويت ، منضورات ذات السلاسل ، 1995

85. محمد جديدي، فلسفة الخبرة (جون ديوي نموذجا) ، (د،ط) ، تونس، المؤسسة الجامعية للدراسات، (د.ت)

86. محمد خطابي ، لسانيات النص (مدخل إلى إنسجام الخطاب) ، ط1 ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، 1991

87. محمد سهيل طقوش ، تاريخ الدولة العباسية ، ط7 ، بيروت ، دار النفائس ،2009

88. محمد نور الدين المنجد ، الإشتراك اللفظي في القرآن بين النظرية والتطبيق ، ط1 ،دمشق ، دار الفكر ، 1999م

89. محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث المعاصر ، (د.ط) ، مصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2002

90. مسعود بودوخة ، السياق والدلالة ، ط1 ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر2012

91. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) ، ط1 بيروت – لبنان –، دار الطليعة للطباعة والنشر 2005،

92. مصطفي محمد الفار ، دراسات أدبية ونقدية في الفنون النثرية ، ط 1 ،عمان الأردن ، دار الفكر ، 2009م ،.

93. منقور عبد الجليل ، علم الدلالة ، (أصوله ومباحثه في التراث العربي) (د.ط) ، لبنان ، إتحاد الكتاب العرب ، 2001 .

94. مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، ط2 ، لبنان ، دار الرائد العربي 1916 .

95. نادية رمضان النجار ، اللغة وإنظمتها بين القدماء والمحدثين ، (د.ط) ، مصر دار الوفاء للطباعة والنشر ، 2004

96. ناصر عقيل أحمد الزمول ، إنما المكان والزمان في القرآن الكريم ، دراسة صرفية دلالية ، ط1 ، الأردن ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، 2006 .

97. نعمان بوقرة ، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل ، ط1 ، الأردن ، عالم الكتب الحديثة ، 2012.

98. نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل خطاب ، ط1 ، (د.ب) ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، (د.ت).

99. نهاد موسى ، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظير اللغوي الحديث ، ط1 لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات والتشر ، 1998.

100 .نواري سعود أبو زيد، تداوليات الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، ط1 ، الجزائر بيت الحكمة، 2009 .

101.هادي تهر ، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ط1 ، الأردن ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، 2004م.

100. ياقوت الحموي الرمي ،معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة اللأديب) ، ط1 تح : إحسان عباس ، (د.ب) ، دار الغرب الإسلامي ، 1993م ، ج5

101. ياقوت الحموي الرومي ، معجم الأدباء ، ط1 ، تح : إحسان عباس ، بيروت لبنان ، دار الغرب الإسلامي ، 1993م ، ج3 .
102. يوسف بن أبي بكر محمد بن على السكاكي (626هـ) ، ط2 ، تح: نعيم زرزور بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1987م
103. يوسف عبد العدوس ، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، ط1 ، الأردن ، الأبعاد المعرفية والجمالية منشورات الأهلية ، 1997 م.

ثانيا : الرسائل والبحوث العلمية :

1. هدية جيلي ، إستراتيجيات الخطاب القرآني في سورة آل عمران ، مقاربة لغوية تداولية ، مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ، تخصص معجمية وقضايا الدلالية ، جامعه محمد الأمين دباغين " سطيف 2 " ، مشرف عبد الغني باردة ، 2017/2016م
2. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطاحي ، دلالة السياق ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في علم اللغة ، المجلد1 ، ، جامعة أم القرى ، السعودية 1418.
3. علي عبد الأمير شهيد ، أثر السياق في توجيه المعنى في كتاب معاني القرآن للفراء رسالة جامعية ماجستير ، جامعة القادسية كلية الآداب ، العراق ، جواد كاضم عناد 2001 .
4. محمود محمد سليمان ، فن الرسائل عند سهل بن هارون وعمرو بن مسعدة ، (دراسة موضوعية فنية موازنة) ، رسالة ماجستير ، 115 – جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا في اللغة العربية وأدابها ، نابلسي ، فلسطين ، 2011م

ثالثا : المجلات العلمية :

1. إدريس مقبول ، الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد (15 / 2) ، مج 8 ، 2014
2. أسعد بولنوار ، الآليات التداولية في تفسير أضواء البيان للشنقيطي ، تحديد المفاهيم النظرية ، مجلة الآثر ، العدد 13 ، جامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر ، مارس2012

3. خنفاوي بعلي ، التداولية البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة ، مجلة اللغة والأدب ، العدد 17 ، معهد اللغة العربية و آدابها ، الجزائر ، 2006

4. عبد الربودرع ، أثر السياق في فهم النص القرآني ، مجلة الأحياء ، العدد 25 فصلية تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء ، 2007 .

5. عبد الواحد التهامي العلمي ، قراءة السرد العربي القديم بين وهم المماثلة ومبدأ المغايرة (دراسة في بعض النماذج) ، مجلة عالم الفكر ، العدد 1 ، (د.ب) ، 2012م

6. علي عمرو ، بنية النص الحكائي في كتاب البخلاء ، مجلة جامعة الخليل للبحوث العدد2 ، 2010

7. فطومة لحمادي ، السياق والنص (إستقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصى مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية ، العدد 32 ، الجزائر ، 2008 ،

8. فطومة لحمادي ، السياق والنص (إستقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصى مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية ، العدد 32 ، الجزائر ، 2008 ،

9. محمد سالم ولد محمد الأمين ، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، العدد 3 ، عالم الفكر ، الكويت ، مج : 28 ، 2000

10. يونسي فضيلة ، مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب ، تناول تداولي للخطاب الثوري ، مجلة الخطاب ، العدد 6 ، معمري تيزي وزو – الجزائر 2010.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان **الصفحة**

شكر وتقدير

مقدمة .....(أ . د)

مدخل : مفاهيم وإجراءات التداولية .....(**10 – 34**)

1 – مفهوم اللسانيات التداولية (لغة – إصطلاحا) .....(10 – 12)

2 – التفكير التداولي عند العرب .....(13 – 15)

3 – التفكير التداولي عند الغرب .....(16 – 18)

4 – قضايا التداولية .....(19 – 32)

5 – مفاهيم التداولية .....(33 – 34)

الفصل الأول : السياق وعلاقته بالتداولية مفاهيم ومصطلحات .....(**36 – 86**)

المبحث الأول : مفهوم السياق .....(36 – 63)

1 – تعريف السياق (لغة – إصطلاحا) .....(36 – 37)

2 – أنواع السياق .....(38 – 45)

3 – السياق عند العرب والغرب .....(46 – 63)

المبحث الثاني : مفهوم السياق التداولي .....(65 – 88)

1 – تعريف السياق التداولي .....(65)

2 – أقطاب العملية التواصلية .....(66 – 69)

3 – الإستراتيجيات التخاطبية .....(70– 86)

الفصل الثاني : السياق التداولي في كتاب البخلاء .....(88 – 129)

1 – تقديم المدونة .....(88 – 89)

2 – تجليات السياق التداولي في المدونة .....(90 – 129)

الخاتمة .....(131 – 132)

الملحق .....(134 – 153)

قائمة المصادر والمراجع .....(155 -165)